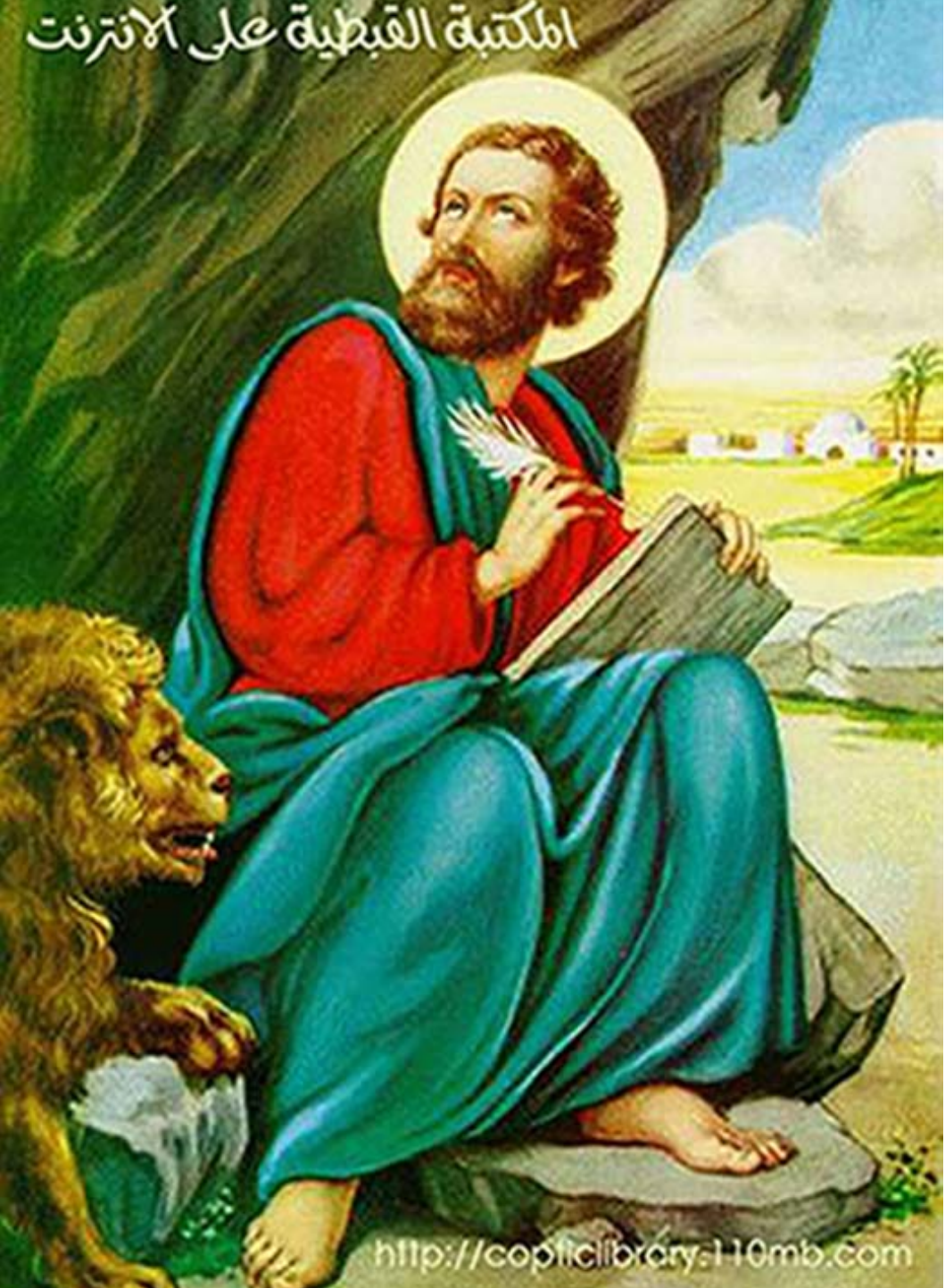
المكتبة القبطية على الانترنت
http://copticlibrary.110mb.com

مطرانية ملوى وانصنا والأشمونين

مقالتان فى الروحانية الارثوذكسية

نيافة الأنبا بيمن

الأب توماس هوبكو

مطرانية ملوى وأنصنا والاشمونين

مقالتان في
الروحانية الأرثوذكسية

نيافة
الأنبا بيمن
والأب
توماس هوبكو
الأستاذ بمعهد فلاديمير الأرثوذكسي الروسي

صاحب القداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

صاحب النيافة الأنبا بيمن
أسقف ملوى وتوابعها

تقـــديم

يحوى هذا الكتيب مقالين أحدهما مقال موسع أخذ من بحث كتبه الأب توماس هوبكو فى كتاب قيم أصدره معهد سانت فلاديمير الأرثوذكسى الروسى بنيويورك تحت عنوان « **الروحانية فى الشرق والغرب** » ، وقد كتب الأب هوبكو الفصل الخاص بالروحانية الأرثوذكسية وقد حرصنا على تقديمه للقارئ العربى فجاءت الترجمة بشىء بسيط من التصرف مع إبراز مايفيدنا، وتحاشى الأفكار البعيدة عن خبراتنا واهتماماتنا الروحية .

والمقال الثانى كتبه الحبر الجليل الأنبا بيمن كانت الكنيسة قد نشرته سابقاً فى سلسلة مقالات هادفة ونفذت طبعته ، فرأينا من المفيد أن يضم لهذا البحث حتى تستكمل الصورة وتعم الفائدة ويظهر الانسجام والاتفاق الفكرى والروحى العميق فى الأرثوذكسية بمختلف بلادها وأصقاعها .

نسأل الله إلهنا الصالح أن يبارك هذه الدراسات ويعطى نعمة لكل كاتب وقارئ بأن يكون له حياة الشركة والعمق الروحانى الذى يتسم به الزخم الأرثوذكسى الأصيل .

لربنا المجد إلى الأبد آمين .

أبيب سنة ١٦٨٨ ش
يوليو سنة ١٩٧٢ م

المقالة الأولى

للأب

توماس هوبتر

الأستاذ بمعهد فيلاديمير الأرثوذكسي الروسي

ترجمة (*)

الأستاذة إيريس حبيب المصري

(*) صدرت الترجمة بإذن خاص من الأب توماس .

اولا : اللاهوت والحيـاة الروحيـة :

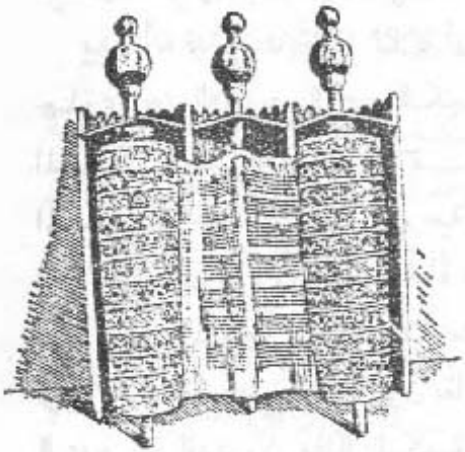

مقـدمة

رسالة الدين :

إن الوظيفة الحقيقية الوحيدة للدين هى أن يشهد للحق الإلهى ، ويفتح الطريق إلى الاتحاد بالله ، وأى ادعاء آخر للدين على الحياة الإنسانية ونشاطها فى الميـادين الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والثقافية والفنية ، يمكن اعتباره قائما بالمدى الذى ينبعث به من الحق الإلهى وإليه يعود .

والدين المبين لنا فى الكتاب المقدس يخبرنا أن الله الحى يعمل فى حياة الناس ، والمسيحى يعلن أن الشركة مع هذا الإله الحى مستطاعة للناس خلال يسوع المسيح بالروح القدس . .

وشهادة الكنيسة فى قديسيها على مدى الأجيال هى أن الناس يستطيعون أن يكونوا فى شركة مع الله . . شركة صافية . . شركة اختبار حى . .

اللاهوت والروحانية :

يبدو أنه قد حدث خلال الثلاثة أو الأربعة قرون الماضية انفصال جذرى بين اللاهوت الرسمى للكنيسة وبين الحيـــاة الروحية المسيحية ، فانحصر اللاهوت فى تقـــديم المبررات المنطقية للعقائد المسيحية ، فى حين أن الحياة الروحية بمعناها الاختبارى للاتحاد مع الله انحصرت فى قلة ، وانفصلت الحياة عن اللاهوت الرسمى كما انفصلت عن جماهير المؤمنين بوصفها شيئا مشبوها . وفى وصف فلاديمير لوسكى يقول «لقد وضع الروحانيون مقابل اللاهوتيين ، والمتأملون مقابل الرسميين ، والقديسون مقابل الكنيسة »(١) . بل إن الحياة الروحية لم تعد منفصلة عن اللاهوت فى الواقع والحياة فحسب ، وإنما اعتبرت مضادة لها أساساً . ولقد حدث هذا لأن اللاهوت أصبح أكاديميا ذهنيا علميا وتدريبياً عقلياً يختص بالتعبيرات اللغوية المنطقية والفروض الصادرة عن السلطة . . واعتبر جمهور المؤمنين أوفيـــاء بطاعتهم للسلطات ما دامت عقائد الكنيسة قد أصبحت أمراً يجب الخضوع له والإيمان به والدفاع عنه ، لا أمرا يتفهمونه ويختبرونه . . وكان

---

(١) Lossky : The Mystical Theology of The Eastern Church, London 1957. p. 8.

هناك فزع فى الكنيسة من أية حركة للروح لا تتمشى داخل حدود القواعد الرسمية للعقيدة ، فلم يكن ثمة مكان للاختبار الدينى والحياة الروحية فى دائرة علم اللاهوت المحض القائم على المنطق والسلطة ، ولم يلعب الإيمان الحى والقداسة الشخصية أى دور سواء فى المصدر أو فى الهدف . . فمن برع فى استخدام المنطق ومعرفة النصوص بدقة استطاع أن يكون لاهوتياً حتى إن كان خاطئاً أو غير مؤمن[1] » .

فأول خطوة نحو استعادة الكشف عن الحياة الروحية فى الكنيسة يجب أن تكون التكامل أو عودة التناسق بين اللاهوت والاختبار الروحى . . بحيث يصبح اللاهوت مرة أخرى ما كانه أيام الآباء . . أى الطريق للاتحاد بالله المفتوح أمام كل نفس مسيحية . ويجب أن يفهم على أنه هو الحياة الروحية وهدفه تقديم الإمكانية لكل المسيحيين ولكل الناس — إن أمكن — للبلوغ إلى ملء الله . . ويجب ألا توضح الإمكانية للاختبارات الروحية فقط ، بل أن تقدم أيضاً الوسائل والطرائق لبلوغ هذه الاختبارات داخل حياة الكنيسة .

ولقد كانت كل عقيدة مسيحية على هذا النحو الضمان الحقيقى للوحدة مع الله والثمرة الصادقة بالاختبار والعشرة الإلهية كما كانت الأرضية لهذا الاختبار للآخرين .. وكانت الصياغات العقيدية هى تلك التعبيرات

---

(١) هذا ما يقصده الأب هوبكو عن الكنائس خارج إطار الكنيسة القبطية؛ وكنيستنا تحرص على أن يكون لاهوتيوها رجال تقوى واختبار .

التى أضفت معنى موضوعيا لحياة القديسين ، كما كانت فى الوقت عينه حصيلة حياتهم ، وكانت الصياغة الكلامية للاختبار الباطنى المفتوح أمام جميع شعب الله الذى يؤمن ويرجو ويحب الآب خلال إبنه وروحه القدوس فى كنيسته .

والمبدأ الأول فى الأساس اللاهوتى للروحانية يجب أن يكون الإدراك بأن جوهر الله هو قطعاً أبعد من أن يفهمه عقل . . والله المجهول يستعلن نفسه ويعرف ويختبر من خلال استعلانه الشخصى فقط لافى جوهره السرى أبداً . فهذا الجوهر لا يمكن للمفاهيم الإنسانية ولا للتعبيرات اللغوية أن تعرفه . فالله المطلق اللامعلوم يجعل نفسه معروفاً . . ولكن فى استعلانه لذاته يكون الله بعينه هو الذى يعرف ويختبر وليس الاستعلان فى حد ذاته ولا ، الجوهر المخلوق(١) ، الذى هو شىء غير الله أو رمز مختلق .. وحين يستعلن الله بنفسه فليس هناك حاجز بينه وبين من يعرفونه وليس هناك سوى الله نفسه فى استعلانه وعلى وجه التحديد حين نعرف الله ونختبر حقيقته الإلهية ، فإنه الله الذى نعرفه ونختبره ولكنه ليس الله فى جوهره أو طبيعته بل بالحرى هو ذاك الذى كما يشاء أن يعلن نفسه من خلال استعلاناته الإلهية وفى أنشطته وفاعليته .

فوسيلة معرفتنا لله إذن ليست بالمفاهيم والتعبيرات . . بل هى بالوحدة التى تذهب إلى أبعد من أى تعبير خارجى . . فالبقاء على مستوى الأفكار والمفاهيم والصور والكلام ومساواة هذه

(١) أى الذى من تصور الإنسان .

باللاهوت أو بالحياة الروحية بوصفها المعرفة المطلقة لله خطأ وبدعة . بل أكثر من ذلك أنها خطية الوثنية بما أنها تستبدل الله الحى الحقيقى بذاك الذى ليس هو الله . . فمعرفة الله يجب أن تكون من الله لاعنه فقط ، وهذه المعرفة لا تأتى إلا من خلال اختبار الوحدة .

يقول القديس أغريغوريوس النزينزى فى تعليقه عن التطويبات « ليست الطوبى فى المعرفة عن الله بل الطوبى الحقيقية فى أن يكون الله داخل النفس »(1).

وطريق حركة الله الشخصية نحو الناس والعالم هو خلال المسيح فى الروح ، وطريق الناس للعودة إلى الله هو خلال المسيح عينه بالروح ذاته . . فالمسيح الإله المتأنس هو مركز الحياة الإلهيـــة الإنسانية وفاعليتها ـــ ولن يمكن أبداً تشريحها بعد الآن ولا تقسيمها اللهم إلا نظرياً محضاً . . وهذه الحياة الإلهية الإنسانية هى الحياة الروحية . . هى الحياة فى الروح القدس التى تمكن الناس من أن يكونوا مسحاء أى أولاداً لله معروفين من الله وعارفيه فى وحدة باطنية دقيقة . . لأنه ليس أحد يعرف الإبن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن . ومن أراد الابن أن يعلن له .. ولما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه .. لننال التبنى .. ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح إبنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب .. لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً . ومن الآن تعرفونه ،

---

(1) On The Beatitudes. PG 4 : 1267 C.

وقد رأيتموه . الذى رآنى فقد رأى الآب » .

(متى ١١ : ٢٧ ، غلاطية ٤ : ٤ — ٦ ؛ يوحنا ١٤ : ٧ — ٩)

ففى المسيح وحده نعرف الآب عن وعى واختبار . وفى المسيح وحده ننال منحة الإدراك الكامل لحضرته . . وكوننا « فى المسيح » ننال القدرة على أن ندعوه « ربا » وخلال المسيح نوجد فى الله ولنا الامكانية أن ندعوه « آبا » . هذا لا يمكن أن ننالـه إلا بالروح القدس ، وعطية الروح القدس هى عطية الوحدة مع الله . .

وعطية الروح القدس هى عطية الادراك الحر الواعى لحلول الله الشخصى بوصفه أبو المحبة . . وعطية الروح القدس هى عطية الحياة الروحية بوصفها الحياة خلال المسيح نحو الله . . إنها الحياة فى الله الثالوث المبارك . . وهكذا كان لزاما أن يكون هناك لاهوت ثالوثى مناسب الإختبار المسيحى لله والشركة الصادقة معه . .

ومكان الوحدة مع الثالوث الاقدس هو الكنيسة ، فالمسيح يحيا فى الكنيسة كالرأس والجسد ، الكاهن والذبيحة ، الملك والخادم ، الله والإنسان . جاعلا الوحدة مع الآب متاحة فيه بالروح . .

والكنيسة واحدة فى المسيح — إنها الانسانية الجديدة : الحياة الجديدة فى الانسان الجديد فى الخليقة الجديدة . .

وبالمعمودية يدخلون بنا إلى الجدة الشاملة فى الاختبار المسيانى ،

فنولد ثانية بالاشتراك فى بصخة المسيح الفصح الجديد للموت والقيامة فيه ، وبالمعمودية يدخلون بنا إلى العهد المسيانى أى الأيام الاخيرة التى فيها « الكل قد صار جديداً » ..

وقوة اختبار هذه الجدة للحياة والمعيشة بمقتضاها فعلا على الصعيد الفردى والجماعى فى الكنيسة جسد المسيح .. هذه القوة تمنح بختم عطية الروح القدس . وهذا سر الميرون تثبيت المعمودية ، إنه عنصرتنا ، ويجب أن نرى بوضوح أن نبوات العهد القديم عن العهد المسيانى قد تحققت فى حدث مزدوج .. مجىء المسيح ومجىء الروح القدس .. فالفصح الجديد بالمسيح قد تكمل فى العنصرة الجديدة بالروح .. وهذان الحدثان يحدثان لكل إنسان يدخل الكنيسة .. البصخة والعنصرة . المعمودية والميرون ، هما أساس الكنيسة والحياة الكنسية وخلال هذين الحدثين تقام الحياة وتستمر .. وفى هذين الحدثين تصبح الحياة الجديدة ، الحياة الروحية ، واقعا حيا ..

والامكانية الوحيدة لان نكون شبيهين بالمسيح هى أن نصبح مع المسيح بالله فى الروح القدس .. وإنماء عطية الروح القدس الوصول إلى قياس قامة ملء المسيح هو الحياة الروحية للمسيحيين ، وحمل ثمار الروح « محبة فرح سلام طول أناة صلاح إيمان لطف وداعة تعفف » (غلا ٥ : ٢٢) وبالتالى التشبه بالمسيح ومعرفة الآب ، هذه هى الحياة الروحية للمسيحى . وإليها دعى جميع شعب الله .

إنها عمل الكنيسة جماعيا وعمل كل شخص فى الكنيسة فرديا وفقا لموهبته الخاصة ولوظيفته . . إنها الدعوة إلى القداسة والكمال . . «كونوا قديسين كما إنى أنا الحكم قدوس» (لاويين ١١ : ١٢) «كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل» (متى ٥ : ٤٨) .

إنها الدعوة الموجهة إلى جميع الناس فى العالم كى يحياها ويختبرها جميع أعضاء الكنيسة بوصفهم أناسا يدركون معنى إنسانيتهم ومصيرها . .

إن الحياة المسيحية هى السر الاعظم . . إنها سر الايمان . . وسر الحياة الصادقة بالروح والحق . بالحرية وبالنعمة . . إنها السر الموضح للذاع المودعاء والمتواضعين ، للجهال والضعفاء . إنها سر الله معنا مختبىء داخل نسيج التاريخ الانسانى كخميرة مخبأة ومغروسة فى حياة الناس لتقديس الانسانية وتجلى الكون . إنها البذرة التى تنمو إلى الوحـــدة الكاملة بين كل الخليقة فى الله . إنها ذلك السر الأعظم الذى عبر عنه الآباء بمنتهى البساطة ، ومنتهى الجسارة فى توكيدهم المعروف عن أن الله صار إنسانا ليجعل الإنسان إلها . . فأعلنها القديس مكسيموس المعترف بهذه الكلمات : «إن الإنسان مخلوق مدعو لان يكون بالنعمة ما هو الله بالطبيعة» بل إن القديس باسيليوس كان أكثر جرأة فى تعبيره حين قال : «الانسان مخلوق صدر اليه الأمر أن يكون الها» .

والآمر «لأن يكون إلها، أمر موجه إلى كل إنسان بوصفه إنسانا، وهو الهدف المحدد للحياة الروحيه.

إذن فلاهوت الوصول الإنسانى لله اللانهائى، لله الاب خلال المسيح بالروح القدس يتضمن تطوراً خاصا للجنس البشرى.. إنه تطور الإنسان المتحول إلى الله، الانسان فى نموه اللانهائى نحو العمق غير المحدود لله. إنه تفهم ديناميكى للانسان الذى أصبحت طبيعته وتحقيق كيانه أن يكون فى عملية دائمة مستمرة من النمو نحو الكمال.. عملية لا تصل أبداً إلى طورها الأخير من التمام لا فى هذا الجيل ولا فى الأجيال القادمة..

ويعبر القديس اغريغوريوس النزينزى عن هذا المعنى تعبيراً بديعا فى كتاباته إذ يقول «حتى بعد الإصغاء فى الخفاء لأسرار السماوات لايدع بولس النعم التى حصل عليها تصبح حداً لرغباته بل يستمر فى تقدمه ولا يتوقف عن الصعود. وهكذا يعلمنا أننا باستمرار تشاركنا فى طبيعة الصلاح المباركة ننال عند كل نقطة نعما عظيمة بالفعل.. ولكن الطريق مهما توغلنا فيه طريق لانهائى.. وهذا يحدث باستمرار لكل الذين يشتركون فى الصلاح الإلهى وهم يستمتعون دوما أكثر فأكثر بالاشتراك فى النعمة على مدى الأبدية(١)».

Commentary on the Song of Songs, New (١) York 1961 pp 58-59

ومهما بلغنا من العظمة والسمو فهذا مجرد بداية لطور أعظم وأكمل .. وهكذا تتحقق كلمات الرسول : الامتداد الى ماهو قدام يتضمن نسيان ما هو وراء . . والنفس التى تتطلع إلى فوق نحو الله وتتلهم تلك الرغبة الصالحة فى جماله الأبدى تختبر باستمرار تلك اللهفة إلى ماهو قدام ولن تنال الإرتواء الكامل أبداً وبالتالى لا تنفك عن أن تمتد دوما إلى تلك الأشياء التى هى قدام تاركة باستمرار المستوى الذى بلغته لتدخل إلى عمق أبعد فى الداخل إلى الطور الممتد قدام(١) .

والنمو نحو القداسة والحركة المستديمة الى ذاك الذى يتجدد باستمرار ، والتحول المستمر من مجد الى مجد ، يبدأ فى الزمان والمكان فى هذا العالم . وهو يبدأ تاريخيا فى حياة كل إنسان (وهو طفل) بالطاعة للناموس . . وأول حركة نحو الله ومصدر حركة الانسان نحو الالوهية للنفس الفردية والجماعات تبدأ بالخضوع للنظم والقواعد الأدبية والشعائرية . . ولكن الناموس ليس سوى البداية ويجب ألا يصبح الغاية والنهاية . .

والناموس يعطى للأطفال كمؤدب موصل إلى الشخص الناضج فى المسيح ، إنه السابق على الروح الواجب إتمامه ، ثم التسامى عليه فى السير إلى ما هو أبعد فى ميدان النعمة . . والناموس يجب ألا يصبح

---

(١) المرجع السابق ص ٧٠ .

إلها أبداً ، بل هو الإنسان الذى يجب أن يناله إذ قد أعطى له حرية مجد أولاد الله فى وحدة مع الآب بمنحه نعمة الحرية فى المسيح الذى هو الحق المحـــرر للناس ، وبروح الحق الذى هو الحرية الحقيقية (٢ كو ٣ : ١٧) ..

فالحياة الروحية اذن كنعمة وحق ، وحرية وروح ، هى أبدية الحياة الديناميكية وليست حالة راكدة ، بل إن البركة فيها تتألف من التجدد المستمر للإنسان فى وحدته مع الله .. والحياة الروحية المبتدئة هنا فى هذا العالم فى الكنيسة هى حياة الإنسان فى عيشة خلاقة محلة بكل صفات الألوهية وأعظمها المحبة ..

إنها الحياة الأبدية المعطاة للعالم فى يسوع المسيح والمختبرة من الكنيسة حيث يسكن بروحه .. إنها الحياة التى يجب أن يأخذها الناس من الله فى المسيح ، ويحصلوا عليها شخصيا باقتنائهم الروح القدس ..

والروح القدس هو القوة العلوية الذى يخبىء نفسه خلف شخصية الانسان مخفياً نفسه مؤثراً على كل حركة لجسد المسيح فى أعضائه الانسانية ، إن الحياة الروحية هى هذه الحياة فى الروح القدس ..

حياة المسيح معطاة كحياة للناس ، وهذه الحياة معطاة ليختبرها الناس فى البداية خلال الليتورجيا فى كنيسة الله ..

ثانيا : الليتورجيا والحياة الروحية :

ان القداس هو الايقونة الحية لما يجب أن تكون عليه الحياة الروحية بأكملها .. فى القداس لا نجد الرؤيا فقط ، بل نجد أيضاً الاختبار للحياة فى الله : نحو الآب خلال الابن فى الروح القدس . . وفى القداس نمنح تذوق الحياة الصادقة حيث الله « الكل وفى الكل » وفى القداس نعطى معرفة ماهى الحياة ، وما يجب أن تكون شخصياً وجماعياً وكونياً ، وباختبارنا لهذه الحياة علينا أن نكون شهوداً أحياء لها فى كل مظاهر الحياة فى العالم .

والقداس متى فهمناه على هذا النحو لا يكون مجرد مجموعة من الشعائر الدينية يؤديها رجال مكرسون فى أيام معينة مقدسة بأدوات خاصة مقدسة ، بل بالعكس يتخذ القداس معناه لافى مقاومته لحياة العالم وإنما فى تطابقه عليها .. والحياة القداسية للكنيسة هى حياة العالم، إنها حياة العالم كما يجب

أن تكون ، أو بالحرى حياة العالم بمقدار ما هى حياة الله وعالم الله مفتدى ومتجليا ومقاما فى المسيح فى الروح فى الكنيسة .

ومن هذا المنظار لنستطيع أن نفهم أن القداس هو التعبير الحى للحياة الروحية واستعلان واختبار للحياة ذاتها كهبة الناس فى الكنيسة .

والحياة الروحية ليست سوى المسيح .. انها ليست سوى حياتنا التى تصبح على مثال المسيح .. وهذه الحقيقة — حياتنا كالمسيح — هى التى يكشفها لنا القداس الإلهى ويمنحنا إياها لاختبارها ، ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب .. تعال وانظر .. ، هذه هى الدعوة الموجهة من القداس . . وما يدعونا أن نأتى ونذوقه وننظره هو حياتنا وعالمنا ومجتمعنا الانسانى وكياننا المادى . . وكل الكيان كما يجب أن يكون وما أصبح بالفعل سريا فى المسيح فى الروح فى الله . .

ويجب أن نلحظ أن هذه الجدة الشاملة فى المسيح ليست معناها هدم القديم ، انها على العكس تجلى وقيامة وتمجيد له . . انها موت القديم لاقامته مرة أخرى فى جدة وليست للقضاء عليها . . (ها أنا أصنع كل شىء جديدا . رؤ ٢١ : ٥) .

هذا ما يعلنه القداس الإلهى من استعلان القديم وقد تجدد — وهذا أمر حاسم لنفهم الحياة الروحية المسيحية . والحياة تبدأ بالميلاد ، والحياة فى المسيح تبدأ بالميلاد الجديد الذى هو المعمودية . . ويقول الرسول بولس بأنه فى المعمودية نلبس المسيح فنموت معه ونقوم معه فى جدة

الحياة بمرورنا خلال صليبه إلى حياته الملكوتية .. والحياة هذه شخصية ، أى أن يعيشها الشخص فى حياته الخاصة تبعا للمقدرات الفردية المحضة . وكل شخص يعيش حياته الخاصة بمواهبه ووزناته الخاصة .. وفى الكنيسة ينال الشخص عطية الروح القدس ليتمم بحياته الفريدة الخاصة حياة المسيح .. وكما أن فصح المسيح يظل حدثا خارجيا عن الحياة الانسانية وبلا فاعلية فى الناس وفى العالم بدون العنصرة ، هكذا تظل المعمودية مجرد إمكانية غير كافية بدون الختم والعطية المثبتة التى للروح القدس والتى تلى المعمودية .. فالمعمودية والمسحة الميرونية مرتبطتان ارتباطا وثيقا وجوديا كارتباط المسيح والروح القدس، البصخة والعنصرة، الطبيعة والشخص ، الجسم والنفس .. وفى وحدتهما تصبح الحياة أفضل كما يصبح ملء الحياة واقعاً معاشاً .

« أنتم جميعا جسد المسيح وكل منكم (كهيكل للروح القدس) عضو فى هذا الجسد » هكذا تكلم القديس بولس عن شرط الحياة فى الله وبهذا الشرط المعطى سريا فى القداس الالهى تصبح الوحدة مع الله والوعى التام بها إمكانية اختبارية فى كل ميدان من الوجود الانسانى وأنشطته(١) .

---

(١) فى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية يجرى الميرون مع المعمودية حتى فى حالة الأطفال ، ويعد نوال المعمودية والميرون مما يمكن للانسان أن يتناول من الأسرار المقدسة حتى وهو طفل . وهذه الناحية من الترابط الوثيق بين المعمودية والميرون والتناول من أكبر الفجوات القائمة بين الشرق والغرب .

وعلى هذا الأساس وضمن نطاق المعمودية — الميرون فى حياة الكنيسة ، وفى الأسرار تتحول الحياة بأكلها فى كل مظهر من مظاهرها، وبالتطعيم فى المسيح والمسحة بالروح يصبح كل شىء جديداً فى ملكوت الله .. متجليا مقاما ممجداً .. وحبنا الانسانى يصبح إلهيا أبديا ، لايعرف الانفصال بالخطية ولا التفرقة بالموت لأن زواجنا يصبح السر بين المسيح وكنيسته .. وتصبح خطايانا قابلة للمغفرة لأن تكفيرنا هو التجدد الناتج عن المعمودية والميرون .. وتصبح آلامنا قابلة للتمجيد سواء للحياة أو للموت لأن مسحة مرضنا هى مزجها وضمها فى آلام الصليب .. وهكذا تصبح تقدماتنا وذبائحنا مقبولة ومرضية لأن كهنوتنا هو تقدمة المسيح للآب .. وتصبح حياتنا كلها — أكلا وشربا وتعاملا مع العالم — سرا مقدسا لأننا نقدم كل شىء لله فى المسيح وفى الروح القدس .

نحن ومجتمعنا وعالمنا ، كل كياننا وكل مانملكه ، كل مانعرفه وكل مانعمله ، كل ما نتوقعه وكل ما نتذكره .. كل شىء فى شموله يعيده الله إلينا فى شركة معه . لأن كل شىء يصبح فى المسيح ممتلئاً بالروح القدس « ملء ذاك الذى يملأ الكل فى الكل » (أفسس ١ : ٢٣) .

وفى هذا المنظار لانرى الأسرار الكنسية مجرد أنشطة محددة منفصلة أنشأها المسيح كوسائل مادية للحصول على نعم روحية تساعدنا على أن نعيش حياة أفضل ، بل بالأكثر نرى أن الميزة القدسية للحياة تدخلنا ضمنا فى الخليقة نفسها حين كان المقصود من حياة آدم الأول أن يحيا فى الله فى

تحولا نهائى فيـــه . . وتأدية قدسية مستمرة لله الأقدس شكراً عن العـالم ..

ومأساة سقوط آدم الأول وفشلنا المستمر من بعده ، قد انسحق وافتدى فى آدم الثانى الذى فيه نملك الحياة فى الله .. هذه الحياة الجديدة هى حياة المسيحيين بالنعمة والحياة السرية المقدسة التى للكنيسة .

الشعائر القداسية[1]

سأمر الآن خلال حركات القداس الإلهى الذى وضعه ذهبى الفم ، وأرجو من ذلك أن أبين باكثر وضوح مايعنيه القداس لحياتنا من الله. وقبل البدء يجب أن نذكر أن القداس الالهى فى الكنيسة الأرثوذكسية هو دائماً عمل جماعى من غير هدف آخر سوى أنه ، عن الجميع والجميع ، وهو يرتل دوما بصوت مرتفع ، ويتسم بأنه فصحى باستمرار محتفيا بكل آلام المسيح، بموته ، بقيامته ،بصعوده ، وبحضوره بالروح ..

لذلك فالقداس كله فرح وسرور ..

كذلك يقدم فى كل قداس الخبز والخمر للجميع ، والتناول يشمل كليهما (بعد أن يتحولا إلى جسد الرب ودمه) . والقداس يؤديه الخديم مرة واحدة فى اليوم الواحد على مذبح واحد .

---

(١) وفقا للكنيسة الروسية .

ومهما كان عـــدد الأساقفة والكهنة المشتركين فى الصلوات يظل القداس واحداً ، وتظل الأفخارستيا واحدة يتناول منها الجميع . الخدمون والمؤمنـــون . ويجب أن نلحظ أيضا أن القداس الإلهى فى التقليد الشرقى يأتى دائما فى نهاية فترة من الصلوات والأصوام وفى هذه الناحية يحتفظ بصلة حتمية مع الزمن . .

والقداس الإلهى يبدأ حين يترك المسيحيون أماكنهم فى هذا العالم ليجتمعوا بوصفهم الكنيسة .. ووقت الاجتماع هو يوم الرب، يوم الخليقة ويوم القيامة .. اليوم الاول والاخير أو كما يوصف فى كتب الآباء « اليوم الثامن » . . أنه يوم ضمن زمن هذا العالم ، يوم كغيره من الأيام ، ومع ذلك فهو فى الوقت عينه يوم الملكوت . ووقت الاجتماع له أهمية حاسمة لأنه فى هذا الوقت يتكشف المعنى لكل الزمن فى حياة الإنسان وتاريخه وعالمه .

ولا نستطيع أن نمحص المعنى الكامل للوقت القداسى هنا ، ولكن يكفى أن نقول أن الساعة الأفخارستية كائنة فى اليوم ، والأحد كائن فى الأسبوع ، والفصح ــ المنصرة فى السنة .

هذه جميعها تمثل وقت البداية ووقت النهاية ، الوقت الذى منه نعيش والذى نحوه نعيش . الوقت الذى نتذكره ، والوقت الذى نتوقعه .

هذا الوقت يمكن أن يقيم اختباراً فريداً يملأ كل الأوقات بالغنى ، ويبين أنه شىء آخر غير العبور من التراب إلى التراب .

ومسألة الزمن فى الحياة الروحية اليوم خطيرة ويجب أن نجد لها حلا . فالجيل الحاضر الذى نعيش فيه ضعيف الذاكرة بمقدار ماهو واسع الرجاء فيما يتوقع . . ويتصف بسعة الوقت وبقصره . . فنحن نعيش فى عصر فيه أكبر الفراغ ومع ذلك فليس لدينا وقت كاف أبداً ، عصر مواصلاته سريعة خاطفة وليكنا لا نلحق به . وفى هذا العصر يصبح اختبار الوقت أشبه بالسراب .

فنحن نحس بالحاجة القصوى إلى صلة متزنة مع الوقت نستطيع بها أن نعيش فيه وهو يتحرك فلا نسعى إلى النزول به إلى اختبار اللحظة العابرة بمحاولة كبت الماضى والمستقبل ، ولا نترك أنفسنا ليجرفنا فى تياره ، وربما أمكن الاختبار الإنجيلى القداسى للزمن فى لحظته الراهنة وفى حركته المستمرة أن يكون أملا يجد الانسان الحالى نفسه فى مسيس الحاجة إليه .

إننا نترك بيوتنا ونذهب إلى الكنيسه — إنه وقت التجمع . وتجمع الناس ليصبحوا الكنيسة هو أول حدث قداسى (ليتورجى) . إنه العمل الأولى الأساسى لجميع الذين ماتوا وقاموا فى المسيح وختموا بعطية روحه ، وهذا التجمع لشعب الله فى حضرته يرجع إلى سبب واحد هو تلبية نداءه ..

فليس هناك أى هدف غير دعوة الله لنكون شعبه ونؤدى عمله ، وهذه الدعوة موجهة إلى جميع الناس بلا تفرقة .. والميزة الوحيدة للمجتمعين هو استجابتهم الواعية لنداء المحبة وإدراكهم الواعى للوحدة

فى الايمـان الواحد ، والرب الواحد ، والعمودية الواحـدة . . وبما أن الله يريد أن جميع الناس يتحدون به فالتجمع فى الكنيسة يجب أن يتضمن الوعى بشخصيته الحقيقية ، تجمع الشعوب أمام عرش الله ، فـا دمنا قد أصبحنا الكنيسة الجامعة فإننا نؤلف المجتمع الانسانى كما يجب أن يتألف : جماعى بالروح صائراً جسداً واحداً للمسيح واقفاً أمام عرش الله ، إنها صورة العالم فى شكله الممجد .

وأول كلمات يهتف بها الحديم هى « مباركة هى ملكة الآب والابن والروح القدس ، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين » فيجيب الشعب « آمين » . وقد تعلمنا أن البركة أقوى من الاعلان والتوكيد . إنها إعلان بأن المبارك هو الهدف الوحيد والرغبة الوحيدة والمحبوب الوحيد لأن كل شىء فى النهاية سيكون مباركا أو ملعونا ، وليس هناك طريق وسط .. « لقد وضعت أمامك الحياة والموت ، البركة واللعنة ، لذلك اختر الحياة لتحيا أنت ونسلك من بعدك محبا الرب إلهك طائعا لصوته وملتصقا به » (تثنية ٣٠ : ١٩) وما دمنا نحب الرب فإننا نبارك ملكوته بوصفه الحياة الحقة الوحيدة .. وبعد مباركة الملكوت نصلى من أجل العالم .. والأوشية العظيمة فى الصلاة القداسية هى الصلاة الشاملة لكل الخليقة : نفوسنا ، مجتمعنا ، عالمنا السياسى والمادى . وفى النهاية نستودع نفوسنا وبعضنا البعض وحياتنا للمسيح إلهنا . . ونحن قادرون على أن نعمل هذا لأننا دخلنا إلى تلك الحقيقة التى تحتضن الكل وتذكرهم وتحبهم . فنحن نقف فى ملكوت الله كشعبه .. الكنيسة ..

ولقد وضعنا فى الكنيسة كما فى سماء جديدة وأرض جديدة وكل شيء هو جمال وفرح وسلام . ونحن نبارك الله والله يدعونا مباركين ، جيد أن نكون هاهنا ، على حد تعبير بطرس الرسول على جبل التجلى . إنها الهية ونحن نأخذها بفرح .

وبعد الترانيم والمزامير والتطويبات ندخل الهيكل ونصل إلى المذبح. ونتتبع إنجيل المسيح محمولا عالياً فى يدى الخديم . لقد انتقلنا من العالم إلى الكنيسة .

ونحن الآن نتحرك ككنيسة إلى المكان المقدس . ونقتاد بالكلمة لنسمع الله يكلمنا ببشراه لنا . وفى ذهابنا نترنم بترنيمة التقديسات .. « قدوس الله . قدوس القوى . قدوس الحى الذى لايموت . ارحمنا » .

إنها تسبحة الثلاث تقديسات التى يترنم بها الملائكة ، والقدوس يكلمنا من مكانه المقدس فى السماوات .. وكلماته هى تلك التى قيلت فى طرقات فلسطين .. ولكننا نسمعها الآن وقد تحققت .. هنا وحدة مع الله . إنها شركة قدسية مع الآب خلال كلمته المتجسد تأتينا بالروح القدس ونحن نمتلىء من الروح القدس لنسمع ونفهم ونحيا بكلمة الله . وخلال الروح الذى بواسطته أعلنت كلمة الله وسجلت وسمعت وفهمت يمكننا أن « نأتى بثمر بالصبر » وحياتنا كلها تنعكس فى هذه الخدمة القداسية كما هى تؤدى فى هذه اللحظة ويجب أن نقف دائماً لنسمع لأنه بذلك وحده نأتى بثمر ، وهذا الثمر هو ثمر الروح الذى يجعلنا شبيهين بالمسيح .

لانه بالروح يأتى إلينا كلمة الله ويعيش فينا ويثمر فى داخلنا أثمــاراً تليق بالخلاص .

وبعد اختبارنا لمجئ الكلمة بالروح لنسير الى الأمام على أساس الكلمة . وما قد حدث لنا فى القداس : التجمع ، البركة ، الصلوات ، الترانيم ، الإنجيل ، الميمر ، ليس بمجرد تهيئة ، فنحن لا نستطيع أن نخطو نحو أرض الموعد من غير أن نكون قد سرنا فى البرية متتبعين الله الذى يقودنا .. ولا يمكننا أن نأكل ونشرب فى أرض اللبن والعسل من غير أن نكون قد نودينا وتجمعنا وأمرنا من الله ، ومن غير أن نكون قد استجبنا بالصلاة والتسبحة مسلمين ذواتنا فى طاعة تامة للسيد المخلص الذى سار فى البرية عينها ليفتح لنا باب الملكوت . وبعد أن نكون قد اختبرنا هذه الأمور نذهب إلى أبعد منها فنصل الى المذبح مرة أخرى حاملين تقدمتنا من الخبز والخمر .. إنهما طعامنا وشرابنا ولكونهما كذلك فهما حياتنا وحياة عالمنا . إنهما رمز لكل ما لدينا لنقدمه . وليس لنا سوى تقدمة واحدة مقبولة أمام الله هى المسيح . إنه حياتنا وكل شئ لنا . وفيه نقدم كل شئ للآب . كما تعلن لنا صلاة التقدمة . المسيح وحده هو الذى يقدم ويقدم وفيه وحده تصبح تقدمة ذواتنا مرضية ومقبولة عند الله ..

على أن هناك شرطين ضروريين قبل التقدمة يجب اتمامها : يجب أن نحب وهذه هى الوصية العظمى ، فيهتف الخديم «لنحب بعضنا بعضاً » وعندها نتبادل القبلة المقدسة . ويجب أن نؤمن

لأن الايمان وحده هو الذى يجعل كل شيء ممكنا . لذلك نرتل قانون الايمان . الايمان والمحبة هذان هما أساس الحياة كلها . هذان هما ، حقيقة الحياة ، وبغيرهما لن تتأتى الحياة الروحية .

ومرة أخرى يبين لنا القداس الإلهى كل باطنية الحقيقة الحياة الروحية فبعد أن سمعنا الرب وتبعناه لا يقبلنا الآب إلا إن عملنا بما سمعناه وإلا إن عشنا كما أرانا فى إبنه ... يجب أن يكون لنا إيمان ومحبة. وفى القداس فى اختبار الحياة فى المسيح نعطى هذين الأساسين . فنحن نقبل بعضنا بعضا ونحن نعترف بالإيمان السليم أيضاً . لأنه بعملنا هذا تكمل عطية الروح القدس فى المسيح الذى يبقى هو وحده أميناً ومحباً إلى المنتهى . .

وخبزنا وخمرنا موضوعان على المذبح . وحياتنا والمسيح معاً قد صارا واحداً أمام الله . نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس معنا جميعاً . هذا أول هتاف افخارستى فيه نرفع قلوبنا ونقدم الشكر لله .. وكل شيء كما يجب أن يكون وكل شيء ممتلىء من محبة الله . .

والهدف من حياتنا الروحية هو أن نحصل على وحدة صادقة مع الحقيقة الالهية . . رؤيا شاسعة وشارك مشبع ... ونحن نعيش باستمرار فى أبدية سرابية وحاضر يفلت منا يكشف نفسه فقط حين نتذكره كماض ونرنو إليه كمستقبل . ولكن الآن فى القداس فى ملء

الساعة الأفخارستية تعطى كل شىء . فتزول حدود العالم الزمنية والفضائية . ويصبح الماضى حاضراً والمستقبل هو الآن . . وينهار جدار الإنفصال (الحائط المتوسط) . فهذا العالم والعالم الآتى ، وهذا الدهر والدهر الآتى ، وهذه الحياة والحياة الأخرى كلها قد انصهرت إلى واحد . . فكلها مركزة فى المسيح . . وكلها ممتلئـــة من الروح القدس :

« خذوا كلوا هذا هو جسدى . . »

« خذوا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى . . »

« نقدم لك من الذى لك على كل حال وفى كل حال . . »

« نسبحك نبارك نشكرك نتضرع إليك . . »

« إرسل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين المقدمة لك . واجعل هذا الخبز أن يصبح الجسد المقدس الذى لمسيحك . . وهذا الذى فى هذه الكأس الدم الزكى الكريم الذى لمسيحك . . محولا إياها بروحك القدوس ليكونا لكل من يتناول منهما طهارة لنفسه وصفحا لخطاياه وشركة مع الروح القدس وتحقيقاً لملكوت السموات . . »

المسيح حياتنا يظهر ونحن نظهر معه فى المجد (كولوسى ٣ : ٤) . . المسيح حياتنا يظهر بالروح ونحن الكنيسة نصبح جسده . المسيح الآن الكل وفى الكل (كولوسى ٣ : ١١) ونحن فى ملكوته ، جميعنا ممتلئون بملء الله (أفسس ٣ : ١٩) . السماء والأرض مملوءتان من

مجده . كل هذه الأشياء التى حدثت لنا — على حد تعبير القداس — الصليب ، القبر ، القيامة فى اليوم الثالث ، الصعود إلى السماوات ، المجيء الثانى المملوء مجداً . . تبدو الآن فى حاضرنا . والبصخة التى حدثت فى الماضى تستعلن لنا حاضراً فى الافخارستيا وهى فى الوقت عينه حضرة المستقبل ، لأنه الآن فى اختبارنا الحى نحن فى عرس الحمل وفى عيد الملكوت . .

وفى ملكوت الله نأكل ونشرب ، وتناولنا مع الله وفى المسيح وفى الروح القدس نأكل ونشرب ، وتناولنا مع الحياة . نحن فى الفردوس حيث كل شيء فى شركة مع الحقيقة الإلهية وكل شيء هو الحياة . فهذا هو ما نسمى إليه . وهذا هو الاختبار الممنوح لنا من القداس الإلهى . فى المسيح أصبحنا مسكنا لله بالروح القدس . . به لنا قدوم فى روح واحد إلى الآب . . ممتلئين إلى كل ملء الله . (افس ٢ : ١٨ ، ٢٢ ، ٣ : ١٩) ونستمر مع بولس الرسول فنستطيع أن نقول بحق أنه إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة . . الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً (٢ كو ٥ : ١٧) فالروح القدس فينا والمسيح حاضر فنجسر أن ننادى الله ضابط الكل ، أبانا ، وفى المسيح نستطيع أن نصلى صلاته طالبين أن يأتى ملكوت الله وأن تكون مشيئته فى الخليقة كلها . وفى الصلاة نذكر ونطلب من الله أن يذكر فى ملكوته كل العالم . . وكل البشرية . .

ثم نتناول . . وتناولنا هو مع الحياة فى شمولها والحقيقة بأكلها .. إنه مع الله . .

وبعد اشتراكنا فى التناول نذهب بسلام باسم الرب . وفى ذهابنا نرتل ترنيمة التمام : « لقد رأينا النور الحقيقى لقد نلنا الروح السماوى ، لقد وجدنا الايمان الحق . . . »

« لنمتلىء أفواهنا بتسبيحك أيها الرب لأنك جعلتنا أن نتناول من أسرارك المقدسة الابدية الالهية المحيية احفظنا فى قداستك . . »

وننصرف بسلام لنعود إلى اختباراتنا القديمة فى عالمنا القديم . وننصرف من الكنيسة لنعود إلى هذا العالم ، العالم الساقط ، الذى رئيسه هو الشرير والذى ستزول هيئته (١ كو ٧ : ٣١) ولكننا ننصرف باختبار سرى خفى لا ينطق به ، اختبار عما يجب أن يكونه هذا العالم وما يجب أن يتحول إليه ، بل بالحرى ما هو عليه الآن بمقدار ما هو عالم الله خلال المسيح فى الروح . . وفى إنصرافنا بهذا الاختبار « ما سمعناه وما رأيناه بعيوننا وما نظرناه ولمسناه بأيدينا » لا ننصرف بذكرى وأمل فقط بل ننصرف حاملين رسالة . ننصرف بسلام وفرح . ولكننا نذهب لنكافح ونحارب فعندنا شهادة نشهد بها وانجيل نعلنه وانتصار نكسبه . . لأن ما نعرفه الآن هو بالاختبار خلال عطية الله الكريمة بحضرته فى كنيسته .

وما قد اختبرناه الآن فى الأسرار الليتورجية للإيمان ، يجب أن نراه متحققاً فى حياتنا الخاصة كأفراد ، وفى مجتمعنا ، بل وفى الخليقة كلها .. لأن الحياة المعطاة لنا فى القداس الإلهى ، يجب أن نمارس وأن تترسخ فى حياة العالم . إن الحياة الروحية يجب أن تعاش . .

ثالثا : الصلاة والحياة الروحية :

والحياة الروحية فى حد ذاتها هى حياة المسيحيين فى العالم . ويمكننى أن أقول أن الحياة الروحية ، بوصفها حياة فى وحدة مع الحق ، هى بالنسبة للمسيحى حيـــاة ثالوثية . . إنها حياة أناس فى وحدة مع الآب خلال المسيح فى الروح القدس . إنها أيضا حياة متأصلة مترسخة فى حياة الكنيسة حيث إختبار هذه الحياة خلال الأسرار، والقداس يوهب كمنحة مجانية . وهذا معناه أننا مطالبون أن نعيش الحياة الروحية فى كل وقت ، وأننا مكلفون أن نحققها ونستكملها بجهادنا فى العالم ، وأن نحيـــاها ونستمتع بها فى الحركة الأبدية ، من مجد إلى مجد ، فى الملكوت . وإن هذا كله يُتوَّج فى الحياة السرية التى للقداس الالهى الخاص بإسرائيل الجديد لله فى إبنه وفى روحه . .

والسؤال الآن عملى محض : كيف يمكن تحقيق هذه الحياة فى أشخاص عائشين فى العالم ؟ وما الرأى إزاء الاختلافات فى تفهم الحياة المسيحية داخل التقليد الشرقى الأرثوذكسى ؟

الإجابة هى أن الروح القدس الواحد هو الذى يعطى تنوعا فى الروحيات الكنسية ، وهو الذى يصنع القديسين من مختلف الناس الذين لبسوا المسيح وعرفوا الله باختبار حقيق فى حياتهم . إن الروح القدس هو الذى يخبىء نفسه أمام جمهور من مختلف الناس وهو الذى يعيش فى كل واحد بطريقة فريدة شخصية — الروح القدس هو المصدر والمبدأ للاختبار الدينى للمسيحيين — هو البداية والنهاية للروحانية المسيحية . فتقبلنا للروح القدس والإحتفاظ به دائما معنا فى بقاء وحلول داخليين هو المعنى الشامل للإيمان المسيحى والحياة المسيحية . . لذلك بتركيز الانتباه الآن على حضرة الروح القدس كشرط للحياة الروحية فى المسيح أستطيع العودة لسؤالنا الأول بطريقة أخرى فاسأل : كيف نتقبل الروح القدس داخليا لنحصل على المسيح وبه يتاح لنا اختبار الله ؟ كيف نحوز على الروح القدس ، وبالتالى ننال عربون الحياة الأبدية وضمانها ، باكورة النمو الدائم فى شركة حقيقية مع الله .. الشركة التى هى جوهر الحياة الروحية أبديا ؟

هذا هو السؤال بعينه هو الذى وجهه موتوفيلوف إلى القديس سيرافيم الساروفى الروسى الذى تنيح سنة ١٨٣٣ فى «الحديث على التاج» المشهور وأجاب القديس أن الروح القدس يمنح للناس فى المعمودية والميرون وفى

الحياة الافخارستية الكنسية . وعطية الروح القدس فى الاختبار السرى الكنسى يمكن تجاهلها أو إهمالها أو رفضها ، أو على حد تعبير القديس بولس إطفاؤها .

ويسترسل القديس سيرافيم فيقول بأن الناس بعد اقتبالهم الروح القدس فى الكنيسة قد يعودون إلى العالم ، فبدلا من النمو فى الروح مع المسيح نحو الله قد ينمون فى الفساد مع الخطية نحو الموت (غلا ٦ : ٨) .

إذن فالروح القدس المعطى من الله خلال المسيح فى الكنيسة كعطية مجانية يجب التركيز عليه باستمرار والحرص على مداومة حيازته .. والحصول على الروح القدس فى حياة مستمرة فائضة بالحضرة الحية تصبح الغرض والهدف لجميع جهودنا المسيحية . وهذه هى كلمات القديس سيرافيم :

« إن الصلوات والأصوام والسهر وكل الممارسات المسيحية بجملتها وإن تكن صالحة فى حد ذاتها لا تؤلف مطلقا الهدف من حياتنا المسيحية ولو أنها وسائل ضرورية لبلوغه . لأن الغرض الحقيقى للحياة المسيحية هو حيازة الروح القدس . أما الأصوام والصلوات والسهر والصدقات، وكل الأعمال الصالحة المؤداة باسم المسيح (ويجب عملها باسم المسيح لتأتى بالنعمة فينا أى لتعطينا الإدراك الوافى لحضرة روح الله) فهى الوسائل التى نحوز بواسطتها على الروح القدس .

وبالطبع كل عمل فضيل وكل فعل صالح معمول لأجل المسيح يأتى

إلينا بنعمة الروح القدس ، إلا أن الصلاة هى أقوى هذه الوسائل . لأن الصلاة هى دائما فى أيدينا الحصول على الروح القدس .

عظيمة هى فاعلية الصلاة وهى - أكثر من أى شىء آخر - تأتى بالروح القدس . إلا أنه مع ذلك قد تحصل على نعمة الروح القدس عن طريق كل الأعمال المعمولة من أجل السيد المسيح ، فتاجر فيها إذن روحيا ! تاجر فى تلك الأشياء التى تأتيك بأعظم الأرباح » .

ان الروح القدس هو الصلاة .. هذه الكلمة التى للقديس سيرافيم هى خبرة حياته كلها .. وهى مأخوذة من تعاليم جميع الاباء الروحانيين الكنيسة . وإن كنت غير ناجح فى الصلاة فلا تتوقع أن تنجح فى أى شىء لأن الصلاة هى أساس كل شىء » . هذه الجملة التى الأسقف ثيوفان الحبيس الذى جمع وترجم كل كتابات الاباء والنساك فى الكنيسة الشرقية فى نسخة الفيلوكاليا الروسية — وهو أب روحانى بحق — هذه الجملة يمكن اعتبارها التعبير النهائى للتقليد الذى بمقتضاه تتطابق الصلاة والحياة الروحية . لأن الصلاة فى نظر آباء الكنيسة هى الحياة الروحية .. إنها اللاهوت .. إنها الوحدة مع الله . فيقول التقليد « إن من يصلى بالروح وبالحق لا يستعير من المخلوقات أفكاراً لتمجيد الخالق ، بل يستقى من الخالق ذاته تأملات التسبيح » . ويقول القديس نيلوس « إن كنت لاهوتيا فستصلى بالحق ، وإن صليت بالحق فأنت لاهوتى » .

ولكن المسألة ما زالت قائمة : كيف نصلى ؟ والمقترحات التى

أقدمها ليست سوى مقدمة للمبتدئين مأخوذة عن التقليد الشرقي . وفي الملاحظات التي سأعرضها أقدم تدريبا محددا في الصلاة الخاصة وهي طبعا تختلف عن الصلاة الجماعية . والمعنى الذي استهدفه هنا هو ذلك المعنى الذي هدف إليه الرب حين قال « حينما تصلي أدخل مخدعك واغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفـــاء » (مت ٦ : ٦) وهذا المعنى تراه الكنيسة الشرقية ضرورة لازمة للحياة لا يمكن رفضها أو التغاضي عنها ولا استبدالها مادامت هي أساس كل شيء .

ولأولئك الذين أصبحت الصلاة لديهم باردة بسبب عدم مقدرتهم على الصلاة أو لخولهم أو لعدم تركيز انتباههم يقترح الآباء قانونا قصيراً للصلاة في متناول كل واحد منا ..

وابتداء الصلاة بقانون طويل وبالرغبة في الاختبار الروحاني ، والوحدة المباركة مع الله يدل على جهل معنى الصلاة وهدفها كما يدل على سذاجة متناهية عن الشخصية الباطنية والحياة الروحية عامة وجهل بتلك الحرب اللامنظورة التي هي ضد رؤساء العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات (١ تس ٦ : ١٢). والبداية على هذا النحو هي السقوط مباشرة في تجربة ينتج عنها تكرار آلي خارجي لا يعتبره الآباء صلاة تافهة فقط بل لا يعدونه صلاة إطلاقاً . وقد تؤدي إلى ما هو أشر من ذلك . إلى الخداع والفشل والكبت واليأس .

والمبتدىء في الصلاة يجب أن يبدأ بما هو في متناوله ويداوم عليه بلا استثناء .

طرق الصلاة

والتبسيط الشديد يمكن القول بأن هناك طريقين أساسيين للصلاة بالنسبة للمبتدئين .

الطريقة الاولى : هى الوقت المحدد . وهى طريقة وضعها القديس يوحنا كليماكوس (الدرجى) . ففى تدريبه يضع المصلى لنفسه وقتا محدداً فى حدود مقدرته ، ويمكن اختيار صلاة ما كرمثلا ، ثم يبدأ الشخص بأن يصليها بانتباه وحرص زائدين مجاهداً عن وعى للاحتفاظ بتركيزحار ووحدة روحية مع كلمات الصلاة ومعانيها . فمتى وجد عقله شاردا وحماسته فاترة يكرر الصلاة عينها مرة أخرى معاودا لها باستمرار إلى أن يشعر بارتياح نسبى لانتباهه وحرارته .

وفى هذه الحالة فإن قليلا من الكلمات هو ماقد يتلى فى الصلاة خلال وقتها المحدد . ولكن النقطة الحاسمة هى التوقف فى نهاية المدة المقررة والانتقال إلى تأدية الاعمال اليومية .

والمقصود من هذه الطريقة للصلاة أساسا أن تكون وسيلة لتقوية المقدرة على الانتباه والتركيز فى الصلاة وبناء الإرادة على المثابرة والحيلولة دون الوقوع فى الزعم بأن الصلاة هى مجرد ترديد لكلمات، ويهيء تحديد وقت التدريب للإنتظام والوقاية ضد أية رغبة طارئة أو تخبط . كما أنه يضع حدا للشعور بالعجز واليأس اللذين قد ينتابا المبتدىء إن ترك لزمن مفتوح وللممارسة غير موجهة نحو هدف سام يعجز أن يصل إليه .

وأقوى سلاح فى يد الشيطان ، كما يقول لنا القديسون ، هو اليأس والإحساس بالعجز . . هذا هو أبشع شيطان يطوق النفس ويغرق العقل . بينما يقول مار اسحق عنه « أنه تذوق لجهنم » . وكثيراً مايكون الإحساس بالعجز وفقدان الرجاء والأمل الذى يحر فى طياته الفوضى والحنق والتذمر والكراهية النتيجة المباشرة لخطط عشوائى للعمل والإقدام على واجب أبعد من المنال بما أنه يفوق لمكانيات الانسان على الأقل فى لحظة معينة .

فوجود الرجاء ضرورة لأى تقدم روحى ، وفقدان الرجاء هو إبادة لكل نشاط روحى ، وطريقة الوقت المحدد فى الصلاة تستهدف الاحتفاظ بالرجاء بما أنها لاتتطلب أكثر من المجهود خلال فترة قصيرة . وهذا الاحتفاظ بالرجاء فى الحياة الروحية يؤكده القديسون للحصول على أية ثمرة روحية : إن الانسان الذى يرغب فى تعليم البلاغة والفلسفة لشخص فى فترة تعلم الأبجدية بدلا من أن يصل به إلى أية فائدة لن يصل إلا إلى تشتيت فكره ودفعه إلى نسيان مانعلمه لأن ذهنه ما زال عاجزا عن تفهم هذه الموضوعات .

وكذلك الانسان الذى يتحدث عن قمة درجات الكمال إلى المبتدئين وبخاصة للكسالى منهم لن يبلغ بهم إلا إلى التراجع عما بلغوه . لأنهم طالما يرفعون عيونهم نحو قمم الفضيلة ويدركون بعد المسافة التى تفصلهم عنها سيزعمون بأنهم عاجزون ولن يستطيعوا الوصول إليها فيتركون حتى الأعمال النافعة القليلة التى بدأوها ويغوصون فى اليأس .

أما الطريقة الثانية: وهى الأكثر شيوعا، فهى الصلاة المحددة والفكرة الرئيسية فيها هى نفس الفكرة فى الطريقة الأولى ولكن ممارستها قد تكون أسهل تنفيذاً عند معظم الناس ، وهذه الممارسة تتلخص فى قانون قصير من الصلاة تقال فى بطء وانتباه فى وقت قصير يمكن إدخاله ضمن المشاغل اليومية . وفى هذه الطريقة ينصح المصلى بأن يمتد إلى ما هو قدام دوما فلا يعود مطلقا إلى ترديد ما قاله من قبل فينتقل باستمرار إلى الصلاة التالية ولا ينظر إلى الوراء أبداً بعزم أكيد على إتمامها على أكمل وجه يستطيعه . .

وهذه الطريقة أيضاً ينصح بها القادة الروحيون فى فترات الصراع الروحى فلا يستمر المصلى فى الحكم على ما فات بل يلتفت إلى الأمام وبذلك يتجنب كل تأنيب مريض على أخطاء الماضى ..هذا التأنيب الذى قد يؤدى إلى اليأس القاتل للنفس . . وبمعنى آخر ندع الموتى يدفنون موتاهم .. على أن نحاذر من السعى وراء كمال وهمى أبعد من طاقتنا . . وهى فى الوقت عينه الممارسة التى تجعل الإنسان فى مواجهة تيار الحياة الواقعية التى لا يمكن أن تستعيد ما فات بل لابد لها من السير إلى الإمام فلا تستطيع إلا السيطرة على اللحظة الحاضره لتحويلها إلى وقت الخلاص. وفيها يتكشف الهدف الأساسى فى الصراع الروحى عامة : بلوغ توبة مستمرة ، تفتح مستمر نحو حضرة ملكوت الله فى وسطنا، تعقل مستديم لجدة اللحظة التى نحن فيها ، تحول وتبدل مستمرين لا يتحققان إلا بالتفهم

المتجدد لمغفرة الله عما فات والادراك بعجزنا بمفردنا بما يؤدى إلى القوة على المثابرة حتى النهاية التى بها وحدها يخلص الإنسان . ونرى هنا أيضا الوفاية ضد أى تمرد من إرادتنا فى نشاطنا الروحى مع ترسيخ ضرورة المجهود الإنسانى. والواقع أن المجهود المطلوب فى مدرسة الصلاة بل وفى كل أركان ميدان الصراع اللامرئى الملازم للنشاط الروحى هذا المجهود هو محور تعليم الآباء ومظهر من مظاهر التقليد النسكى الذى لا يمكن تجاهله . .

وهناك نوع من القوة والتغصب فى ممارسة الصلاة . . بل فى كل نشاط مسيحى يجب تفهمه وتنفيذه . . هذا هو العنف الذى أشار إليه سيدنا حين قال « ملكوت الله يغصب والغاصبون يختطفونه » (متى ١١ : ١٢) ويلذ للآباء جميعا أن يشيروا اليه . وفيما يتعلق بالصلاة فالآباء يصرون على أن نبدأ بدافع قوتنا وعنفواننا . فليس بالهين أن نصلى وأن نصل إلى الوحدة مع الله . . لأن الصلاة فن الفنون وعلم العلوم . وهى أيضا أعنف معركة فى ارتفاعات الحياة الروحية وفى اعماقها . أنها نصر يجب احرازه ، ومهارة يجب السيطرة عليها ، ومعرفة يجب استساغتها وخلق يجب أن نخلقه ، انها تتم فى حرية تامة ونعمة ممنوحة من الروح القدس ولكنها تبدأ بالعنف النفسى الذاتى وبالتدريب والمجهود الشاق . . والموضوع بأكمله فيما يتعلق باقحام النفس على الصلاة وعلى كل نشاط روحى يجب فهمه على حقيقته . فهناك الاقتناع التام بالاشتراك الجبر الشخصى الذى للإنسان لضرورة نموه نحو القداسة الالهية ، وهناك تعاون حر لابد منه بين الله والإنسان أو كما يقول الرسول بولس « تمموا

خلاصكم بخوف ورعدة ، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (فى ٢ : ١٢) .

وهذا التعاون الحر الضرورى بين الله والإنسان يبدو لنا فى أكمل صورة فى المسيح الذى يقول « أبى حتى الآن يعمل وأنا أعمل . . ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى » (يو ٥ : ١٧ مع ٩ : ٤). والوحدة الكاملة فى العمل الآلهى الإنسانى أوضح ما تكون فى يسوع .. إنه المسيح الذى يؤدى العمل الإلهى الانسانى الكامل طبيعيا ، وذلك العمل بعينه الذى يجب أن يتحقق فى كل إنسان بنعمة المسيح فى حلول الروح القدس ..

وهذا يذكرنا على الفور بفكرة الآباء القائلة بأن هدف الإنسان هو « أن يصبح بالنعمة ما هو المسيح بالطبيعة » ، وهذا يوضح أيضا أنه حتى المجهود الانسانى الشخصى الارادى يصير فعلا حراً ونافذاً خلال نعمة حضرة الروح القدس .

والقديس مكاريوس المصرى يستعمل هذه الكلمة عينها فى الرسالة الأولى عن حفظ القلب : « أن النعمة التى تأتى إلى الإنسان لا تربط أرادته بضغط الضرورة ، ولا هى تجعله صالحا بدون جهد منه بل على العكس فقوة الله الكائنة فى الإنسان تتراجع أمام إرادته الحرة لكى تكشف إن كانت إرادة الإنسان تنسجم مع النعمة أم لا . . لأنه لا وداعة له ما دام لم يقم بمجهود لكى يكتسب هذه الفضيلة ولم يهيء نفسه لاقتبالها . ولا تواضع له لأنه لم يطلبه ولم يغصب نفسه على

أن تكون متواضعة . وليس فى قلبه محبة للناس لأنه لم يجعلها شغله الشاغل ولم يصلى بحرارة لتعطى له لأن كل إنسان يرغم نفسه ويغصبها على الصلاة حتى ضد رغبة قلبه عليه أيضا أن يغصب نفسه ليحب ويتواضع وليكون وديعا بريئا كريما . كذلك عليه أن يغصب نفسه على الاتضاع فيعتبرها فقيرة وأصغر جميع الناس .. ويجب أن يمتنع عن الكلام التافه ، دارسا كلام الرب باستمرار وحافظا إياه على شفتيه وفى قلبه . كذلك عليه أن يغصب نفسه على تجنب الحدة وكلام الغضب » .

« واستجابة لهذا كله فالرب الذى يرى تلهف الإنسان وغرضه يعطيه القدرة للوصول من غير عناء إلى جميع الاشياء التى كان يجد صعوبة من قبل فى المثابرة عليها حتى بالضغط الشديد لسبب الخطية التى فى داخله . وكل هذه الممارسات الفضيلة تصبح طبيعية فيه لأنه أخيراً يأتى الرب إلى الإنسان ويسكن فيه وهو فى الرب ، والرب نفسه يعمل تلقائيا أعمال وصاياه فى داخله مالئا إياه بثمار الروح القدس » .

هذا التعليم الذى للقديس مقاريوس هو صورة للتقليد النسكى فى الشرق المسيحى بكامله ويتلخص بدقة فى كتابات الاسقف ثيوفان الحبيس حين يكتب فى القرن التاسع عشر يقول « مع إننا نتوقع كل شىء من الله ولا شىء من نفوسنا فعلينا مع ذلك أن نغصب ذواتنا إلى العمل باذلين أقصى جهودنا وذلك لكى نخلق شيئا يمكن للعون الالهى أن يأتيه وللسلطان الالهى أن يطوقه .. فالنعمة موجودة فى داخلنا ولكنها لن

تعمل إلا بعد أن يكون الإنسان نفسه قد بذل جهده فتملأ عجزه بقوتها هي .

ولن تحقق أى شيء بمجهودك وحدك . ومع ذلك فإن الله لن يعطيك شيئا إلا أن عملت بكل قوتك . هذا هو الناموس المطلق » .

والقديس ايريناوس يقول « إن الإنسان بالتعريف هو جسد ونفس والروح القدس » إذن فليس هناك حكم ذاتى إنسانى والانسانية حاكمة ذاتها بل أن هناك دوما قانونا من الخارج يعمل فى الإنسان . وهذه شهادة القديس بولس ، فالانسان ليس وحده أبداً ناموساً لنفسه، ولكن أعضاءه هي دائما مسكن لناموس آخر . وهذا الناموس الآخر إما أن يكون ناموس الله الذى يؤنس ثم يؤله فى النهاية، أو يكون ناموس الخطية الذى يحدر وفى النهاية يهلك وليست هناك إمكانية ثالثة . وفى العالم هناك باستمرار (اللهم إلا فى حالات نادرة) صراع عنيف بين الاثنين وفى المسيح وحده توجد إمكانية الانتصار لجعل الإنسان إنسانا حقا وبالتالى ليصير إلها بالمشاركة فى النهاية . ويتنقل بولس الرسول بسرعة فى تعليمه الدقيق المفصل عن عمل الروح إذ يقول «لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فبما للروح. لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعا لناموس الله لأنه أيضا

لايستطيع ، فالذين هم فى الجسد لايستطيعون أن يرضوا الله . وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح إن كان روح الله ساكنا فيكم . ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذاك ليس له . وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة لسبب البر . إن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فسيحيي أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم . إن عشتم حسب الجسد فستموتون ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون . لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله . وإذ نصرخ يا أبا الآب فالروح نفسه أيضا يشهد لارواحنا أننا أولاد الله . الروح أيضا يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لاينطق بها . ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ماهو اهتمام الروح لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين ، (رومية ٨) .. إذن فالصراع الروحى ، لأن نميت الجسد ، ونعيش ، حسب الروح ، يتطلب التعـــاون التام بين حرية الانسان ونعمة الله فى وحدة سرية تعلو على التحليل .

وبعودتنا إلى موضوع الصلاة إذن نجد أن الآباء يلحون علينا بأن نكون عنفاء مع أنفسنا فى حفظ قانوننا تحت ضغط شديد حتى أن الرب الذى رآنا عاملين بكل جهدنا يعطينا روحه ــ روحه الساكن فى داخلنا ونحن نكافح ليعين ضعفاتنا ويشفع فينا بأنات لاينطق بها .

ومع إتمام الصلاة بحرارة وبتواضع غير ناظرين إلى نتائجها وبعقيدة راسخة فى أن الروح القدس سيأتى ليعين ضعفاتنا يعطينا الآباء

قانونا أساسيا آخر خاصا بالصلاة للمبتدئين . (ويجب أن نلاحظ أن الآباء أحيانا ينصحون الجميع بأن يصلوا كأنهم مبتدئون) .

هذا القانون الأبوى الذى يكاد أن يكون عاما فى التقليد الشرقى هو التوجيه بأن نترك جانبا كل الصـــور السيكولوجية وكل التصورات الخياليه ساعة الصلاة .

وبما أن هذا التوجيه عام وبما أنه فى الوقت عينه تحيطه التساؤلات الكثيرة وجب توضيحه بملاحظات حول معناه .

وليس هناك أدنى شك فى أن التقليد يستهدف استبعاد كل الصور الذهنية فى الصلاة . يقول أحد الآباء وليست الانفعالات العنيفة بالحائل الوحيد دون الصلاة الباطنية بل يضاف إليها كل الصور سواء كانت مرتبطة بالانفعالات أو منفصلة عنها . .

إن الروحانية الأرثوذكسية عامة لاتشجع ذلك النوع من الخيال الذى يمكن الانسان من أن يصور الأشياء الروحية لنفسه وأن يحياها داخلياً عن طريق حواسه . فالتشكيل الموجود ضمن الصلوات الكنسية والايقونات وما يحويه الانجيل كلها كافية لتمكين الإنسان من أن يدخل بالروح داخل الحوادث الموصوفة . . وكل خيالات الإنسان موصومة بباطنه وماهو شر من ذلك، بشهواته، وهذا لاقيمة له فى الحياة الروحية السرية .

والروحانية الشرقية خالية من التصور ، والطريق المؤدى إليها خال من التصور أيضا أى طريق الصلاة والتأمل .

رابعاً : ملامح الروحانية الشرقية :

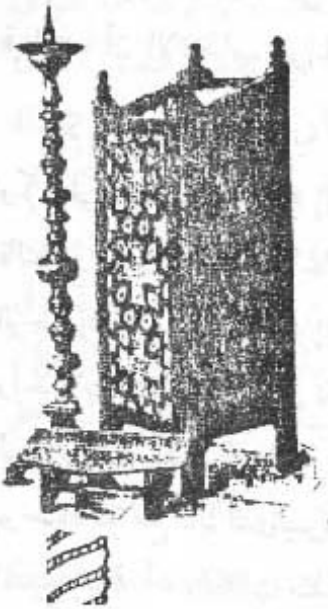

فى التقليـــد المـلىء بالمحسوسات والأمور الخارجية البرانية : أيقونات ، ملابس ، شموع ، بخور ، مواكب ، ترانيم ، هجعات ، سجود بالإضافة إلى الأنشطة الجسمية من النظر والشم والصوت والذوق واللمس والحركة . نعجب حقا من أن نجد مثـل هذا التعليم عن « التصور » فى الحياة الروحية عامة وفى الصلاة خاصة . فما معنى هذا ؟

إن هذا التعليم يكشف أولا شخصية الروحانية الشرقية التى تتشكك كثيراً فى الخداع الذاتى . فى التقليد الشرقى نجد توكيداً للتعقل والصحو

فى كل الميادين التى يمكن أن يكون اتجاها باطلا أو افتتاناً أعمى ناتجاً عن الارادة الذاتية فى تآمرها مع الوحى الشرير . فمثلا يقول مار اسحق السريانى : « إن ذاك الذى يرى نفسه على حقيقتها أعظم من الذى يقيم الميت » . فإن كانت هذه هى وجهة النظر نحو معرفة النفس ، فليدخل فيها ضمنا أن الانجذاب نحو الخداع الذاتى يكون لامفر منه .

فكم بالحرى تعظم إمكانية الخداع فيما يتعلق بمعرفة العالم الروحى ، وكم بالحرى تتضاعف الحاجة إلى السهر والتعقل فى صلة معرفة الله . إذن فالتصور المرئى فى العبادة الخارجية فى الكنيسه ليس خطرا من هذه الوجهة إذ أنه صريح فيما يرمز إليه وبالتالى لايخدع . ولكن تصور العقل والخيالات الباطنية قد تكون نتيجة لانفعالاتنا الخاصة ، بل قد يكون الوازع إليها القوى الشيطانية بأسلوب قد يضللنا ويخدعنا إلى الزعم بوحدة باطلة مع ذاك الذى ليس هو الله . والشيطان مخادع بطبعه وقد دعاه المسيح بقوله أنه «الكذاب منذ البدء» (يوحنا ٨ : ٤٤) وشبهه بالذئاب التى تأتى فى ثياب الخلان ، ويسميه الكتاب المسيح الدجال كما يخبرنا أن الشياطين قد تظهر على هيئة ملائكة النور . إذن فالاعتبار الأول فى التحفظ التقليدى فيما يتعلق باستعمال المخيلة لإبراز صور حسيه عن الله أو حتى عن المسيح الإنسان هو هذا التخوف الشديد من إمكانية الإنخداع ، ومن الثقة فى السراب وإعتباره حقيقة . ومحور هذا التخوف هو الوعى التام بالقوى اللاشعورية والشيطانيه .

وثمة اعتبار ثان فى هذا التعليم وهو اعتبار لاهوتى مؤداه أن الإنسان يستطيع أن يكون فى وحدة مع الله بالروح ، وهو فى هذه الوحدة ليس فى حاجة إلى أى نوع من التأمل المفتعل ، فلا ضرورة لأية رؤيا مفتعلة وفوق هذا فرؤيا الله التى توصف بأنها ممكنة — والتى توهب معرفتها فى الحياة الروحية — توهب فى وحدة بعيدة عن المفاهيم والتصورات لأن الله لايمكن تفهمه ولا تصوره بشكل مادى أو عقلى . فمعرفة الله فى الحياة الروحية هى « معرفة الله » وليست « معرفة عن الله » أنها معرفة لإختبار وجودى وليست معرفة لتفكير عقلى أو نقاش منطقى . فالله روح لا مرئى ، ولامادى لايمكن تخيله ، وليس هناك مفهوم يمكن أن يحيط به ولكن فى الصلاة الحقيقية إمكانية لمعرفة لاخيالية ، ولوحدة مع الحضرة الإلهية ، لاصلة لها بالمعرفة الذهنية والمفاهيم العقليـة الموصوفة فى تحاليل علم النفس والفلسفة .

ويبدو أن التقليد الشرقى الخاص بوسائل المعرفة عامة مناهض للحاجة إلى المفاهيم « التصورية » حتى فيما يتعلق بعالم الواقع الذى نعيش فيه . فالإنسان لديه القدرة على المعرفة وعلى تبادل المعرفة من غير الرجوع المستمر إلى تخيل موضوعات المعرفة بمعنى تكوين صورة ذهنية . ويقول لنا الآباء أن هذا صحيح من طبيعة الإنسان بذاتها لأنه هو — دون سائر المخلوقات — لديه إمكانية الإدراك الباطنى للحقيقة وإمكانية المسحة الواضحة لما يسمو على المعرفة اللاهوتية الغائصة فى التسلسل الأبوى إذ هى متأصلة فى الروح القدس ، روح المسيح الذى يأتى بحضرته القوية ، بغير

مرافقة » (لوقا ١٧ : ٢٠) « ليرشد إلى كل الحق » (يوحنا ١٦ : ١٣) الروح القدس الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، ولكنه معروف من أولئك الذين فى المسيح كما قال الرب نفسه لتلاميذه « أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث فيكم ويكون معكم » (يوحنا ١٤ : ١٧) . هذا هو الروح القدس عينه الذى اعتبره القديس ايريناوس ضمن « العناصر » الضرورية فى الانسان بوصفه إنسان والذى وصفه أشعياء بقوله : « روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة وخوف الله » (أش ١١ : ٢) لأن الانسان بوصفه « هيكل للروح القدس » يستطيع أن يستمتع بنوع من المعرفة مباشر وباطنى وكاشف للحقيقة بلا وسيط ، وبقوة داخلية « لأن يرى » بشكل لا يحتاج إلى صور ، وباحتضان وجودى ليس فى حاجة إلى المرور خلال درجات الفكر التحليلى .

وهذه المسألة عينها الخاصة بالتشكك فى سوء استعمال الصور الذهنية فى الصلاة وفى الحياة الروحية يواجهها التقليد الشرقى من زاوية عملية أيضا . ولتبسيطها إلى حد بعيد أستطيع أن أقول أن التقليد الشرقى يقف ضد أى رأى ينادى بأن الإنسان يحتاج على أى حال إلى معاودة خلق المسيح كإنسان فى نوع من التصور المقدس له ولحياته الأرضية لكى يعرفه فى الحاضر .

فالرب الآن فى ملكوته خلال قيامته وصعوده وتمجده ، وهو بذلك معروف « ليس حسب الجسد » ولكن « بالروح » ، ليس من وجهة النظر الإنسانية ، كما عرف قديما ولكن فى « الخليقة الجديدة » (٢ كورنثوس

٥ : ٦) وما دام هذا هو الواقع فالشركة الوثيقة مع الله خلال المسيح بالحضرة الحية للروح القدس فى الكنيسة متاحة للناس فى كل جيل .

فهناك وسيلة جديدة لمعرفة الله وخلال الله لكل الحقيقة لا تتطلب أى تدريب سيكولوجى لتصور وتخيل للمسيح الذى فى التاريخ .

وأبسط مثل أسوقه هو السر المقدس فى القداس الالهى ، ففى شعائر التناول لا نطالب بأن « نوهم أنفسنا » بأننا حاضرون العشاء الربانى فى العلية وأن الخديم هو المسيح ونحن جالسون معه .. الخ أو لزيادة التوضيح عن الموضـــوع نفسه نحن لا نطالب بالزعم « أن يسوع على المذبح » أو حين نتناول العناصر المقدسة لسنا مضطرين إلى إقحام خيالنا على أن ما نأكل هو فى الواقع لحم ، إن الكنيسة لا تضطرنا إلى القيام بأعمال بهلوانية ذهنية لتجعل نشاطنا « الليتورجى » واقعياً بل على العكس من ذلك أنها تحذرنا من مثل هذه الأعمال: فالقداس الالهى حقيقة فى ذاته ومن ذاته ، وحقيقته الوحيدة فى كيانه فقط ، والذبيحة اللاهوتية سر فى داخله وشكله ومضمونه الروحى يتحقق ويتم بالروح القدس ، وهى كافية فى حد ذاتها بأن تمنحنا التشارك الاختيارى فيه .

إن الآباء ينصحوننا بأن نبدأ الصلاة بكلمات قليلة نكررها مراراً وتكراراً كلما تذكرنا وحينما كنا . وهذا النوع من الصلاة القصيرة المكررة يؤيده التقليد الشرقى للمبتدئين وللعارفين أيضا بل حتى « للكاملين »

بوصفه نوع من الصلاة الفعالة . « فصلاة يسوع » مثلا تستعمل بهذه الطريقة كصلاة بسيطة للمبتدئين وكصلاة مستديمة للعارفين ، فهى تستمر من ذاتها كأنها وسيلة بيولوجية (للصلاة بلا انقطاع) فى (خبرة الاباء) وبما أن ممارسة « صلاة يسوع » متأصلة فى أعماق الروحانية الشرقية بأكملها ، وبما أنها متاحة للجميع ، وبما أنها مجهولة تماما فى التقليد الروحى الغربى يجدر أن نلقى عليها شيئاً من الضوء هنا .

« وصلاة يسوع » إن أسىء فهمها أو استعمالها قد تكون تدريبا خطراً . لذلك وجب توضيح مبدأين أساسيين قبل شرح كيفية استعمالها الصحيحة . وأولها هو أن « صـــلاة يسوع » لا يمكن أن يرددها إلا المسيحيون المتأصلون فى الحياة الانجيلية اللاهوتية السرائرية القداسية التى الكنيسة . فهى ليست مجرد شىء يمكن تجربته للتسلية ولرؤية ماذا سيحدث بعيدا عن الإيمان المسيحى والحياة المسيحية . وثانيهما أن كل التداريب (الخارجية) الموجودة فى الكتب النسكية للصلاة من أوضاع جسمية وتمرينات تنفسية وتركيز للعين ومواقف ذهنية كلها ثانوية محضة ، وليست ضرورية للصلاة لأن المقصود منها هو قصرها على النساك المدربين بإرشاد قادة أكثر خبرة وكإمكانية لا كقاعدة عامة .

و (صلاة يسوع) لها أشكال كلامية متنوعة أكثرها شيوعا هى :

(يارب يسوع المسيح ابن الله ارحمنى أنا الخاطىء) . وبهذا الشكل يعلمنا التقليد أن هذه الصلاة تتضمن كل عناصر الايمان المسيحى (يارب

يسوع) — ليس أحد يستطيع أن يقول (يسوع هو رب) إلا بالروح القدس (كورنثوس الأولى ١٢ : ٣)، فالقول بهذا تبعاً للرب نفسه لا يعلنه (لحم ولا دم بل أبي الذي في السموات) (متى ١٦ : ١٨) . (ارحمني — مغفرة الله المعلنة في يسوع . (أنا الخاطىء) — لأنه لم يأت للأبرار بل للخطاة الذين يدخلون ملكوت الله ليفرحوا الملائكة أكثر مما يفرحهم الأبرار إن كانت روحهم كروح العشار وحياتهم حياة التحول المستمر بالتوبة . فباسم يسوع توهب كل الأشياء ، لأن الاسم ذاته استعلان وحضرة وقوة لذاك الذي يضرع به . إلى الآن لم تطلبوا شيئا باسمي . اسألوا تعطوا لكي يكون فرحكم كاملا (يوحنا ١٦ : ٢٤) . وفي استعمالها الأول تحوي (صلاة يسوع) ضراعة تقال في أي وقت وأي مكان ، وتحت أي ظروف كوسيلة لمحاربة التجارب الشريرة . (اضرب عدوك باسم يسوع) هذا مايقوله كليما كوس (فليس هناك سلاح أمضى منه على الأرض وفي السماوات) وهو قطعا أقوى من الارادة الانسانية . فبقوة الارادة لن يخلص إنسان . وقداسة الله ليست وليدة القوة والرغبة الانسانية ، وقهر الشيطان ليس تحت سلطة إنسان . فالاندفاع الجارف إلى المعركة ضد (قوى الظلمة) والانسان متسلح بحسن الرغبة والحماس المذهب فقط حماقة وويال ولن يسفر إلا عن الفشل والاندحار إن لم يؤد إلى الانهيار الوجداني والاضطراب العقلي أيضاً . (ورئيس هذا العالم) أقوى من الانسان الساقط . ولن يخرج إلا بالقدوس ابن الله . وفي عقيدة القديسين تكون الصلاة وحدها باسم يسوع هي السلاح الوحيد القوي إلى حد ضمان الانتصار من غير جروح . وهذا ما يعلمه

مار اسحق السريانى ، معبراً عنه بكلمات عتيقة ، ولكن بمعنى وقيمة عصريتين :

« لا تقاوم الأفكار التى يغرسها العدو فيك بل بالحرى اقطع كل حديث معها بالصلاة لله . فليس لدينا دائما القوة الكافية لمقاومة الأفكار العدائية إلى حد إيقافها ، بل بالعكس فإن مثل هذه المحاولات تصيبنا بجراح يطول شفاؤها . وعلى الرغم من كل نواياك الصالحة فالأعداء سينجحون فى إيذائك . ولكن حتى إن قهرتهم فقذارة مثل هذه الأفكار ستلطخ عقلك وستلصق بك رائحتها الكريهة بأنفاسك ، ولكن إن استعملت الوسيلة الأولى (وسيلة الصلاة) ستتحرر من هذا كله ومن الخوف ، لأنه ليس هناك عون غير الله » .

وبهذه الطريقة تستعمل « صلاة يسوع » كسيف روحى ليقطع كل قوه الشر ويحول نشاط الخطية التى تولدها الى قوة مطهرة قدسية .

وهذا هو الاستعمال الطبيعى لها ، وعند دخول أول علامة من الشهوة إلى العقل : الكراهية ، الغضب ، الرغبة الرخيصة ، التسرع فى الإدانة ، تكرر الصلاة فوراً بقصد تحويل قوة الشر التى تعبر عن نفسها عادة بالرغبة الشريرة . تكرر الصلاة نحو الله باسم يسوع وبذلك تأتى بقوة الروح القدس بثمارها بدلا من الشهوات : المحبة بدلا من الكراهية ، الصبر بدلا من الغضب ، الطهارة بدلا من الشهوة ، الرحمة بدلا من الإدانة ،

وبهذه الطريقة ـ تبعا الآباء ـ يتركز (عقل) الانسان فى القلب وينشأ بذلك نوع من أجهزة الإنذار يرن عند أول ظهور التجارب الشهوانية وفى لحظة تتجاوب الأصداء بصلاة يسوع ، وبهذه الطريقة تمر موجة التجربة بدافعها الشرير خلال القلب الممتلىء بالله فى اسم يسوع النابع بفاعلية حضرة الروح القدس فيتراجع شرها أمام ثمار الروح .

وهذه الوسيلة التى هى نداء اسم يسوع كسلاح روحى يمكن أن تنساب فى ضراعة مستمرة باسم يسوع كتذكار لله أو (وقوف فى حضرة الله) أو (صلاة بلا انقطاع) وهذه على حد تعبير الآباء (انتباه العقل) و (حراسة القلب) أو (تنقية القلب) الذى خلاله وحده يستطيع الإنسان أن (يرى الله) . إذن فالتكرار المستمر لاسم الرب إن تم فى تعقل وانتباه وإخلاص وإيمان ، وليس كمجرد طلسم أو تعويذة، يمكن أن يؤدى إلى الصلاة المستمرة فى أسمى درجاتها : الاتحاد فى الله دون كلام أو وعى والممتلىء بالسلام والفرح والذى يعبر عن نفسه فى توبة متواضعة ومحبة شاملة لكل الخليقة. أو بعبارة أخرى فإنه بالمداومة على الصلاة باسم يسوع على قدر طاقتنا وقوتنا يتجاوب الله معنا بختم روح القدس على قلوبنا .

ويخجلنى أننى حصرت حديثى فى الحياه الروحية الفردية فلم اتحدث عن ابعاد الروحانية المسيحية اجتماعيا وتاريخيا وكونيا .. وهذه يجب التمعن فيها فى أية مناقشة كاملة للمسألة الروحية ، ومما لاشك فيه أنه لايزال أمام اللاهوت الأرثوذكسى مواجهة مسائل الحياة الروحية

على المستويات التاريخية والاجتماعية وعلى الأخص داخل الإطار الحديث المتسم بالنظرة الغربية .

وقد قلت مراراً بأن الاعتراف الجوهرى فى التقليد الشرقى الأرثوذكسى هو أن الله نفسه جاء ليعيش فى الناس خلال الابن والروح القدس ، ليقاتل الشر والخطية ويقضى عليهما وليبرز الانسان فى كمال وقداسة ويصل به إلى حياة لا نهائية من الألوهية . وتأليه الإنسان هو عطية خالصة من الله معطاة فى الخبرة السرائرية القداسية للكنيسة إذ يصبح المسيح ملكا لنا بالروح القدس الذى يحيى نفسه كذات شخصية الانسانى بوصفه صورته . واقتباسا من القديس غريغوريوس النزينزى ليستعلن فى الشخص ، كما أن الابن هو الصورة الكاشفة للآب وكما أن الروح هو الصورة الكاشفة للابن — هكذا الانسان القديس هو الصورة الكاشفة للروح، واستمراراً مع تفكير النزينزى إلى النهاية نسمعه يقول بأن هذا هو الدليل الوحيد على وجود الله ومعناه وقيمته : القداسة الالهية للانسان وخلاله لكل الخليقة .

وعصر الكنيسة كعصر للروح فى الإنسانية ـ المدعوة للتأله يتطلب وعياً جديداً للعلوم الانثروبولوجية والاجتماعية والتاريخية والكونية على حد تعبير برداييف أنه وقت ، لله — الإنسانية » ـ الشرط الخلاق الجديد للحرية وللنعمة فى الروح القدس والحق ، الشرط الذى يمتد إلى ما بعد السلطة والقانون . هذا الوقت الخاص بالروح الخلاق الحر يجد

منتهى تعبيره فى الكمال الشخصى الروحى وفى القداسة الخلاقة وبلوغه ينساب فيفيض على حدود الشخص إلى مؤثرات عالمية : أنه الخليقة الجديدة للناس الجدد فى السماء والأرض الجديدتين ، ولكى يضطرم روح الله فى الإنسان يستلزم أقصى الجهاد الإنسانى واجماع الآباء كلهم هو أن عمل النعمة شامل . ولكن النعمة تأتى لتعطى النصرة على الخطية والموت، والتحرر من كل قانون خارجى وسلطة خارجية لا يتحقق إلا حيث ملء الجهاد الإنسانى الحر الخلاق : الجهاد الارادى العنيف الاندفاعى الذى هو فى حد ذاته فى سر الحياة الروحية الصفة الالهية الإنسانية وسمتها والذى يتحدى كل تحلل لما هو من الله وما هو من الإنسان .

وديناميكية الحياة الروحية هى ظاهرة الألوهية ـ الإنسانية ، التى ليست من هذا العالم ، وهى لذلك غير خاضعة للفحص البشرى . إذن « فالوعى الجديد » يتطلب « خلقيات جديدة » عن « الله ـ الإنسانية » حيث يتم التغلب على الفرقة بين الالهى والانسانى ، لأن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا وأنتم مملوؤن فيه . . . لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله ، (كولوسى ٢ : ٩ - ٣ : ٣) .

وكل مجال فى الحياة الروحية ينطوى تحت فاعلية « هذا » الامتلاء مع المسيح فى الله ، فكل مثابرة على الاحتمال وكل جهد بلا كلل يجب أن يملأ جميع الفكر والكلام والعمل إلى أن يتحقق فينا هذا كحضرة مقيمة ولقد قال لنا القديس سيرافيم بأن هناك وسائل عديدة لهذه الغاية التى

سماها «حيازة الروح القدس» وأن كل انسان يجب أن يتاجر خاصة في تلك الأنشطة التي تعود عليه بأكبر ربح . ومع ذلك فمن الواضح من كل الكتابات الروحية أن كل انسان يجب أن يتاجر الى حد ما فيها كلها . ويجب رفض الاذعان رفضا باتا للزعم بأن ما يسمونه « وسائل النعمة » أو « الأعمال المسيحية » يمكن تجزئتها إلى أعمال منفردة وبالتالي يمكن التغاضي عن بعضها في سبيل البعض الآخر أو إستبدال بعضها ببعض . والتقليد الشرقي يعتبر هذا الزعم تجربة كبرى فمثلا يعتبر الآباء من الخطر ممارسة « صـــلاة يسوع » مع تناسي حاجات القريب ، أو إهمال الصلاة والصوم بسبب الانشغال بالخدمة الاجتماعية . فالحياة الروحية هي ملء وهي تشييد وهي انسجام لعناصر عديدة وبالطبع تختلف هذه العناصر في قوتها وتفاعلها من شخص إلى آخر مما يؤدي إلى خلق فريد . وبهذا المعنى يكون هناك روحانيات بعدد الناس المستعدين لأن يصبحوا هياكل للروح القدس . ومع ذلك فالمحاولة الواعية لاختيار نواحي معينة وأنشطة خاصة من الحياة الجديدة مع اقصاء كل النواحي والأنشطة الأخرى هو تشويه للحياة الروحية بوصفها الحياة ذاتها . هذه العناصر لها قيمة في حد ذاتها بمدى فاعليتها في الشخص وفي العالم وبأثرها بأن تحدث شيئا في الوجود ذاته له قيمة باقية أبدية . وهذا طبعا هو بنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي إلى . . . . إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح » (أفسس ٤ : ١٢ - ١٣) .

وفى هذا الجهاد يجب أن نلحظ أن اختبار « موت الله »والاحساس بعدم وجود النعمة والقنوط والجفاف هو عنصر أيضا وفى الواقع يتكرر فى لحظات بطريقة خفية فى الحياة الروحية . وهو يحدث لكل الناس حتى «للكاملين» إلى آخر الحياة . والتقليد قد اجتهد لتفسير سببه : إما من الشر نتيجة للخطية، وإما من الله كدرس للتواضع، أو من طبيعة الحياة ذاتها فى تطلبها الحرية أو من المحبه الاشتراك مع صرخة المسيح على الصليب « الهى الهى لماذا تركتنى » والتقليد عينه اجتهد أيضا لتقديم النصح بتفهم التجربة واحتمالها والتغلب عليها . ولكن النتيجة هى . . هى فى النهاية : أن الاختبار لابد منه والجميع يؤكدونه بلا استثناء كما يؤكدون بأن الحرية الكاملة شرطه الوحيد والمحبة الشاملة هدفه الوحيد .

ففى أوقات الجفاف حين نحس بأننا وحيدون فى الكون ، يقول لنا الآباء بأن عزاءنا الأول أن مثل هذه الاوقات لابد أن تأتى ، وأنها ضرورية تماما ، وأنها بطريقتها الملتوية تشهد للكرامة العظمى التى للانسان كما تشهد للنداء الالهى فيه . لذلك فحينما تحل هذه الأوقات يجب أن نثبت فنؤدى كل حركات الحياة الروحية وعلى الأخص الصلاة حتى صلاة المرائى والشكوى والتساؤل والالحاح الشديد على الله طلبا للنور والفهم . ويجب أن نستمر فى كل عمل صالح حتى أن كنا لانشعر بالرغبه فيه غاصبين أنفسنا على أن نعمل ما نعمله عادة بفرح وبهجة متيقنين بأن « الصبر إلى المنتهى » هو وحده الذى يأتينا بالخلاص

والخلاص هو بالضبط اختيار شركة الحضرة الالهيه المؤدى إلى توبة صادقة وإيمان حار ورجاء معزى فى هذه الحياة وإلى محبة شاملة فى هذه اللحظة وإلى الأبد .

والمحبة الشاملة هى الهدف النهائى من كل الصراع الروحى . إنها غاية الحياة الروحية . الغاية التى لانهاية لها . والصراع هو سعى للتشبه بالله والتأله فى حياة النعمة الأبدية فى تحول مستمر وتغير «من مجد إلى مجد» إلى كمال لانهائى . ومضمون هذه الحركة الشاملة للعالم — وبدايتها ومنتصفها وآخرها — هو المحبة .

الله محبة — محبة فى ذاته ولذات المحبة لا بالنسبة لنا فقط . وهذا هو المعنى الدينى الأساسى لايماننا بالثالوث الأقدس : الله هو إله حى إله محبة ، وحياته الباطنية هى المحبة . وروح الله هو روح المحبة .

وهذا الحب قد كشف عن ذاته ، وهذا الحب يريدنا أن نبادله بالحب وهذه المحبة لابد أن تنتصر . إذن فالبداية محبة والنهاية محبة . وفى المحور يقف الله المستعلن بنفسه فى محبة واتضاع : «صليب ابن الله» .

وحياتنا الجديدة هى محبة . محبة فقط ، القوة الشاملة المطلقة التى للمحبة . وهدف هذه الحياة ، الجديدة هو «أن نعرف محبة المسيح التى تفوق كل عقل» .

هذا هو التوازن الجديد للحياة والقانون الجديد للحياة .. ومن المحال

صوغ هذه الحقيقة فى قوانين محددة ، فهى قوة جديدة قاهرة ، وحياة جديدة وقانون جديد للحياة ، وروحى جديد . . أنها أكثر من تعليم خلقى . أنها قوة جديدة . . . تبدأ من هنا مؤسسة على استعلان محبته المتنازلة والممتدة إلى الإمام . وفوق هذا كله فهى القانون الاسمى للحياة الأبدية .

وهذا مايقوله القديسون بالضبط . أن حياتنا الجديدة هى المحبة والمحبه فقط ، القوة الشامله للجميع التى هى المحبة ، وحتى مار اسحق السريانى المعتبر أشد النساك تزمتا يختم تعليماته بارق حنان عن المحبة الكونية : « ماهو القلب المحب ؟ أنه قلب ملتهب بالمحبة لكل الخليقة : للناس وللطيور والبهائم ولكل الخلائق. أن ذاك الذى له مثل هذا القلب لايستطيع أن يبصر أو يتذكر مخلوقا من غير أن تغرورق عيناه بالدموع بسبب الحنان الهائل الذى يتملك قلبه ، قلبا رقت مشاعره إلى حد أنه لايحتمل أن يرى أو يعلم من الآخرين عن أى ألم حتى أقله يقع على مخلوق. وهذا هو السبب فى أن مثل هذا الرجل لا يفتر عن الصلاة من أجل الحيوانات ، ومن أجل أعداء الحق ، ومن أجل الذين يؤذونه لكى يحفظوا ويتطهروا . أنه يصلى حتى من أجل الثعابين ، مهتزآ بالاشفاق اللانهائى الذى يملك على أولئك الصائرين قلوبا متحدة مع الله » .

والمحبة الصادقة لاتتخير محبوبا . أنها عاملة شاملة . أنها إلهية . انها ترغب فى أن الجميع يعيشون وأن لاشىء يضيع ، أنها محبة لانهائية (محبة أولئك الصائرين متحدين مع الله) إنها وحدة المحبة بالمحبة . وهى ممنوحة

الناس بحلول روح المسيح ، لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (رومية ٥ : ٥) هذا الروح هو الذى يتغنى به القديس سمعان اللاهوتى الجديد باسم المحبة بالذات :

وأختتم حديثى عن الاختبار الحى للحياة الروحية بترنيمة هذا القديس (أيها المحبة القدوس — أن ذاك الذى لا يعرفك لم يذق قط حلاوة مراحمك التى لا يعطينا إياها إلا الاختبار الحى . أما ذاك الذى عرفك أو بالحرى الذى عُرف منك فلن يداخله بعد ذلك أدنى شك . لأنك أنت كمال الناموس : أنت يامن يملأ قلبى ويشعله ويلهبه ويطوقه بحب لا يقدر . أنت هو معلم الأنبياء وفخر الرسل وإكليل الشهداء والهام الآباء والعلماء وتهليل الصديقين . وأنت أيها المحبة هو المهيء حتى لى أنا للخدمة الحقيقية لله) .

المقالة الثانية

لضيافة

الأنبابيين

الروحانية الأرثوذكسية

قد يسأل أحدهم هل هناك فارق بين الروحانية الأرثوذكسية والروحانية الكاثوليكية والروحانية عند الطوائف الأخرى . .

نعم إن العقيدة والأصول الإيمانية لها أكبر الأثر فى توجيه الحياة الروحانية وصبغها صبغة معينة . . فالأرثوذكسية لها إيمان بالثالوث الاقدس وبالطبيعة الواحدة لشخص السيد المسيح من الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية . . وهذه الطبيعة متحدة بلا إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير . . كما تعلم الكنيسة أيضاً أن السيد المسيح له مشيئة واحدة وهذا الاتجاه العقيدى له أكبر الأثر فى توجيه التعليم، كما أن له أكبر الأثر أيضاً فى توجيه الحياة الروحانية .

وهناك ظروف أخرى غير العقيدة أثرت على أنواع الروحانية تتعلق بالاوضاع الإجتماعية والسياسية ، فالكنيسة الغربية بسبب ظروفها التاريخية وإخضاعها الامبراطورية الرومانية تحت قيادتها حتى أن بابا روما توج الامبراطور شارلمان يوما من الأيام قد اتجهت إلى بسط نفوذها وسلطانها حتى إنتهت إلى أن أصبحت دولة لها سفراؤها وبنوكها واقتصادها العالمى . . هذا كان له التأثير على الفكر الكاثوليكى وعلى الروحانية الكاثوليكية . . ثم إن النهضة العلمية والتقدم الفلسفى فى أوربا ، وحرص الكاثوليكية على أن تركب كل موجة تحدث فى اوربا ، فتارة تخضع الحركة الفنية تحت نفوذها فى مطلع النهضة الأوربية ، وتارة أيضاً تفتح أبوابها أمام كل فكر وفلسفة بعد أن كانت تهاجم

العلماء هجوما عنيفا وصل إلى حد حرق العلماء ومحاكمتهم كمجدفين أيام العصور الوسطى .. كل هذا كان له أثره فى الحياة الكاثوليكية والغربية عامة .

أما الكنيسة الشرقية فلأجل ظروفها السياسية والاجتماعية وإبتعادها عن السياسة ومراكز الحكم والسلطان وإنتشار الحركة النسكية الرهبانية مبتدئة بمصر وممتدة إلى بلاد الشام ثم اليونان ثم روسيا . . هذه المؤثرات كان لها أكبر الأثر فى صبغ الفكر الأرثوذكسى والروحانية الأرثوذكسية بطابع معين نستطيع أن نسمية الطابع النسكى والمستيكى (السرى)(١) والإهتمام بالعمق الداخلى أكثر من الإهتمام بالمؤسسات أو المطبوعات أو الدخول فى تيارات الأحزاب والايديولوجيات المتضاربة فالطابع الأرثوذكسى طابع روحانى والكنيسة الأرثوذكسية كنيسة صوفية باطنية جوانية، على حد تعبير الأنبا اغريغوريوس(٢)، فقد جابه قادتها الرحانيون الفلسفة والفلاسفة ومع ذلك عرفوا أن لايخلطوا الدين بالفلسفة ، هذا الخلط الذى هو أصل الهرطقة . . .

وكنيستنا الأرثوذكسية تنظر إلى طبيعة المسيح نظرة صوفية روحانية ينحل فيها كل ما يبدو أمام الفكر البشرى أنه متناقض أو محال . . هذه التجربة الصوفية أو الروحانية تعلو على كل تناقض عقلى وفلسفى . العقل الفلسفى يحاول أن يخضع الديانة لذات المنهج العلمى الذى تخضع

(١) يبرز نيافة الأنبا أغريغوريوس دائما طابع الحياة السرية والعمق الداخلية فى كل أحاديثه عن الروحانية الأرثوذكسية .

(٢) الارشيدياكون وهيب عطاالله (الأنبا أغريغوريوس) : تعليم كنيسة الاسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح ص ١٢ - ١٤

له كل فروع المعرفة المادية ، ومن هنا فقد يدخل إلى الدين مناهج التحليل والتصنيف والاستنباط والاستقراء وما إليها من أجل أن يجعله أكثر إساغة وقبولا للعقل الفلسفي ، أما نحن الارثوذكس فإننا نفهم روح الدين ونعلم أنه يلزم للعقل أن يخضع للتجربة الروحية الصوفية!.

فنهج الأرثوذكسية منهج روحي نسكي بينما منهج الغرب منهج عقلي تحليلي وهذا له أكبر الأثر على الحياة الروحانية وعلى نوع التعليم الديني .

إن ما يمثل الروحانية الارثوذكسية هو المؤمن الذي له أعماق روحية وله شركة عميقة واختبارات نامية مع الله، وله حرص شديد على الاشتراك مع المؤمنين في الكنيسة في جميع الخدمات من عبادة وتسبيح واحتفال بالأعياد والمناسبات الكنسية ، وله علاقات حسنة مع كافة المواطنين مهما كان دينهم أو جنسهم أو مذهبهم ..

° ° °

ويلزمنا بادىء ذي بدء أن نشير إلى أن هدف الحياة الروحية في الاتجاه الارثوذكسي هو التأله على حد تعبير أثناسيوس الرسول في (تجسد الكلمة)، أي أن نكون شركاء الطبيعة الإلهية(١) كما قال معلمنا بطرس الرسول في رسالته الثانية . . وهذا الهدف كلما وعته الكنيسة حرصت أن يكون كل نشاط وكل خدمة وكل تعليم هادفا إلى إيجاد هذه الشركة المقدسة مع الثالوث الأقدس . .

فلا يرضى الارثوذكسي أن يكون الله قطبا خارجيا ويبقى هو قطبا

(١) ليس في الجوهر .

آخر أمامه ، ولا يوافق الأرثوذكسى على التعليم الذى يجعل الحياة الروحية مجرد ممارسات شكلية أو أنشطه إجتماعية أو خدمات طائفية أو تأدية شعائر طقسية خالية من الروح والحياة . .

الروحانية الأرثوذكسية التى تؤمن بالطبيعة الواحدة تعلم بأن الإنسان مدعو فى الرب يسوع إلى حياة الشركة فى المسيح . لهذا فإن سر الأفخارستيا يمثل محورا هاما بل حجر الزاوية فى الحياة الروحية الأرثوذكسيه لأنه من خلال الأتحاد بالجسد والدم الاقدسين نكون جميعاً جسداً واحداً وروحا واحدا وقلبا واحدا كما نتحد بالرب نفسه إذ يثبت هو فينا ونثبت نحن فيه .

لهذا نجد أن التعليم الارثوذكسى النقى لايتخذ شكل (الكاتشيزم)(*) كما لايتخذ شكل التدريب الجافة التى يمارسها الإنسان بذاته كوسيلة للصعود إلى الله والارتفاع إليه . إن الروحانية الارثوذكسية هى إختبار الحياة فى المسيح ، ولا ندرى هل يصبح المؤمن فى أعماق الله أم أن الله يملك على أعماق الإنسان ! ولكن الذى يحدث فعلا هو شركة كيانية عميقة تؤكد قول الرب فى صلاته الشفاعية الاخيرة (أنا فيهم وأنت فىّ ليكونوا مكملين إلى واحد) . فالروحانية الارثوذكسيه لا ترضى بالحياة لاجل المسيح فقط ، ولا بالحياة مع المسيح فقط ، وإنما تهدف إلى الحياة فى المسيح ومن خلال هذا الاتجاه تنطلق كل خدماتها وعباداتها وأنشطتها المختلفه ..

(*) التعليم الدينى عن طريق السؤال والجواب بطريقة مركزة جافة .

النعمة والإرادة :

وإذا كانت الروحانية الأرثوذكسية تنظر إلى عمل الفداء الذى صنعه الرب يسوع على أنه هو الألف والياء فى الحياة الروحانية ، فإن ما أصاب الفكر الغربى من صراعات حول أيهما أهم النعمة أم الارادة ، كما حدث أثناء السجال الطويل بين القديس أوغسطينوس وبيلاجيوس، لم يظهر فى الفكر الارثوذكسى لأن الأرثوذكسية اختبار عملى . فهى لا تفلسف الحياة الروحانية ، بل تحرص على أن تلقى كل مؤمن فيها وتلقى الزخم الروحى فى أعماقه . . فالحيـــاة الروحانية فى الاتجاه الارثوذكسى هى عمل النعمة ، ولكن يلزم أن تكون الإرادة حاضرة لتقبل هذه النعمة ، وبدون النعمة لافائدة من الجهاد وبدون الجهاد لايمكن للنعمة أن تبقى وتدوم وتنمو فى حياة المؤمنين ، فنحن لا نكمل إن لم نجاهد قانونياً(١) . ويلزمنا أن نتمم خلاصنا بخوف ورعدة . وليست الخبرة الروحية قائمة على أساس أن أصعد بجهدى إلى الرب لأن الله هو الذى نزل إلينا ، وإنما الخبرة الروحية هى التى تقوم على أساس أن أهيىء حياتى لسكنى الرب فىّ ، أن أعد له المذود كى يولد فىّ ، أن أتقبل من الكنيسة كل وسائط النعمـــة التى تملأ كيانى فرحا ونعيما ، ويصبح الملكوت حقيقة حاضرة ، وعربونا لما هو آت . فما هو أخروى ليس مستقبليا فقط ، وإنما هو يعاش فى الحاضر ، وأثناء المعاناة اليومية .

---

(١) راجع كتاب الخلاص لقداسة البابا غبطته الثالث وأحاديثه المباركة عن الجهاد والنعمة .

إبراز عمل الثالوث الاقدس :

وفى كل صلاة أو خدمة تهتم الأرثوذكسية بابراز عمل الاقانيم الثلاثة بعكس الفكر الغربى الذى يركز على عمل المسيح وحده . فنجد عندنا مثلا الكاهن عندما يعطى البركة الرسولية يقول (محبة الله الآب ، ونعمة الإبن الوحيد ، وشركة وموهبة وعطية الروح تكون معكم)، وفى صلاة الأجبية نجد صلوات تقدم للآب السماوى (لشكرك أيها الآب أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح) وأخرى تقدم للابن، بل إن هناك قداسا يخاطب الآب وآخر يخاطب الابن ، فالكنيسة الأرثوذكسية تعلم بأن الأقانيم الثلاثة تعمل فى وحدة جوهر المحبة .

تقول الكنيسة عن عمل الأقانيم بالنسبة لمريم العذراء (الآب اختارك والابن تنازل وتجسد منك والروح القدس ظللك) .

وفى تعاليم القديس ايرينيئوس[1] نجد ثلاث أنواع من الرؤية لله :

الرؤية الأولى : وهى بواسطة إلهام الروح القدس ويسميها رؤية نبوية فيها يستعلن شبه مجد الله .

الرؤية الثانية : وهى بواسطة يسوع المسيح ، ويسميها رؤية بنوية وهى للمختارين .

---

(١) كتاب حياة الصلاة الارثوذكسية ص ١٩٧ طبعة عام ١٩٦٨ .

الرؤية الثالثة : رؤية الآب وهى رؤية الوجه للوجه لحياة الملكوت. والرؤية النبوية بالروح القدس تمهد للرؤية البنوية فى المسيح وهذه تحضر الإنسان إلى رؤية كاملة للآب ، والآب يهب الانسان عدم الموت ، والانسان فى كل هذه يتحقق أنه يرى الله بالفعل لأن هذه الرؤى الثلاثة متداخلة جداً ، وكل منها يحتوى الآخر خلفه .

روحانية شركة وليست روحانية فردية :

عندما أراد الرب أن يصنع الفصح قال (أصنع الفصح مع تلاميذى) وكانت شهوة قلبه أن يأكل الفصح معهم لأن هذا هو القصد الذى من أجله جاء أن يوحّد الجميع فى واحد كما أنه هو والآب واحد . وكانت صلاته الشفاعية الأخيرة تطلب من الآب هذه الوحدة للتلاميذ ولكل من يؤمن به . الروحانية الأرثوذكسية لا تعرف الروحانية الفردية فمنذ أن يولد المؤمن ولادة ثانية بالمعمودية وهو يغرس فى الكنيسة غرسا وجميع أسرار الكنيسة وخدماتها تهدف إلى هذه الوحدة المقدسة التى تجعل المؤمن جسداً واحداً وروحاً واحداً ، وفكراً واحداً وقلبا واحداً ، بإيمان واحد لرب واحد وإله واحد ، ورجاء واحد ودعوة واحدة .

لذلك علمنا الرب يسوع أن نقول الصلاة الربانية بصيغة الجمع : أبانا الذى، وليس أبى الذى فى السموات. ويؤكد لاهوتيو الأرثوذكسية أن المؤمن يخلص من خلال الكنيسة وليس خارجها إطلاقاً . وليس معنى هذا أن الأرثوذكسية تلغى العلاقة الشخصية وتتجاهل الشركة الخاصة

بين المؤمن ومخلصه ، ولكنها إذ تؤكد هذه العلاقة تضعها فى إطار وحدة المؤمنين برباط الكمال الذى هو رباط المحبة ووحدانية الروح .

وإذا تأملنا صلاة القداس مثلا نجد هذه الوحدة واضحة فلا الاسقف وحده يمكنه أن يعمل القداس ، ولا الشماس وحده يستطيع هذا ، ولا الشعب بدون الاسقف والشماس يقدر أن يشترك فى القداس وإنما الجميع فى وحدة متناغمة يشتركون معا .

وحدة السمائيين مع الارضيين :

وتهتم الروحانية الارثوذكسية بوحدة السمائيين مع الأرضيين بقدر إهتمامها بوحدة المؤمن مع الله ووحدة المؤمن فى الكنيسة . فالعلاقة القوية التى تربط المنتصرين الذين كملوا فى الإيمان مع المجاهدين الذين لا يزالون يركضون نحو الجعالة هى محور من أهم محاور الروحانية الأرثوذكسية . . لذلك تحرص الكنيسة على أن تمتلىء بالايقونات فى كل مكان .. على الحجاب وعلى الجدران وفى الهيكل ، حتى يشعر المؤمن أن هؤلاء القديسين أحياء مع إبراهيم واسحق ويعقوب وأنهم يجاهدون معه ومع الكنيسة التى يعيش عضواً فيها . وفى هذا يقول الرسول بولس «إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنجاهد بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع» (عب ١٢ : ١ - ٢) .

فالكنيسة الأرثوذكسية تنظر إلى السماء والأرض وقد اتصلتا ببعض فى إتحاد لا ينفصل . ففى القداس الالهى عندما تبدأ الصلاة يفتح ستر الهيكل ويصير كل شىء مكشوفا وتكون الصلاة علانية لأن المسيح قد جعل الإثنين واحدا أى السمائيين والأرضيين . وتصلى الكنيسة قائلة :

« عندما نقف أمامك وقت الصلاة نحسب كالقيام فى السماء » .

وفى قداس القديس أغريغوريوس تصلى الكنيسة قائلة :

« الذى أعطى الذين على الأرض تسبيح السارافيم إقبل منا نحن أيضاً أصواتنا مع الغير المرئيين واحسبنا مع القوات السمائية » .

كما تذكر الكنيسة سواء فى الصلوات السرية أو العلنية الملائكة ورؤساء الملائكة والقديسين ، وصلاة المجمع فيها طلبة وتضرع من الكنيسة المجاهدة لأجل الكنيسة المنتصرة « تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء آباءنا القديسين رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والمبشرين والإنجيليين والشهداء والمعترفين وكل أرواح الصديقين الذين كملوا فى الإيمان » ، وعندما يرفع الكاهن البخور يصلى سراً قائلا « أذكر يارب اباءنا وإخوتنا الذين سبق رقادهم فى الإيمان الارثوذكسى نيحهم جميعهم مع قديسيك » .

وبين هذه السحابة المقدسة التى يقبل الله صلواتنا فى صلواتهم رائحة بخور ذكية يتنسمها فيرضى عن شعبه ويغفر لهم جهالتهم تبرز مكانة

العذراء والدة الإله القديسة مريم ، فللعذراء وضع خاص فى العبادة الأرثوذكسية فهى ليست أم يسوع فقط بل هى أم كل مؤمن أيضاً ، وفيها تقابل الجنس البشرى كله مع الخالق يسوع المسيح كصديق ومخلص . . فهى ليست فقط أم يسوع المسيح بل هى أيضاً أم الخليقة كلها . هى حواء الثانية التى أصلحت زلة المرأة الأولى ، هى كمال العهدين القديم والجديد لأنها الكائن البشرى الذى اقترب جدا إلى الثالوث الأقدس ، أسمها دائم الذكرى فى صلوات الأرثوذكسية ، وأيقوناتها توجد فى جميع بيوت المسيحيين المتدينين ، وشفاعاتها كثيرة ومقبولة أمام الله من أجل الذين يحبون إبنها ويعبدونه من كل قلوبهم . .

تقديس المادة فى الروح :

تبرز الروحانية والفكر الغربى ثنائيات كثيرة مثل ثنائية الفرد والجماعة ، المادة والروح ، الزمن والأبدية . ولكن فى الأرثوذكسية لاتوجد هذه الثنائيات ، ونذكر مثلا المادة والروح فإن الكنيسة ترفض الفكر الافلاطونى الذى يعتبر المادة ضد الفكر والروح ، وإنما تعتبر المادة مجالا أساسياً لعمل الله فى خلاص الإنسان . فمنذ أن اقتبل الإبن الكلمة طبيعة الإنسان فى إقنومه وإتحد اللاهوت بالناسوت لم تعد المادة نجسة بل مجالا مباركا وواسطة تجرى الكنيسة نعم ومواهب الروح القدس من خلالها . فالماء والزيت والخمر والخبز مجالات ضرورية لنيل اسرار الكنيسة ، والصلاة على مائدة الطعام تقدس الطعام وإذ

يأكله المؤمنون بفسك وشكر وفرح وتهليل وبساطة قلب ، تتحول اللقمة في أجوافهم إلى بركة تدخل الأحشاء فتعطى قوة تجدد الجسد لخدمة الروح ، كما أن الجنسية في الإنسان تتقدس من خلال سر الزيجة فيصير المضجع غير نجس والعلاقة الجسدية بين الزوج والزوجة تعبر عن علاقة روحية هي أسمى ما يربط الإنسان بالآخر .. بل أن أجسادنا نفسها سوف تقوم في مجد عندما يأتي الرب في مجده ومجد أبيه لأننا أبناء نور ، أبناء قيامة . ستستطع أجساد القديسين بالنور والبهاء بعد القيامة، والجسد نفسه سيشارك الروح بركات الدهر الآتي كما شاركها أتعاب الجهاد في أرض الغربة .

بل وتؤمن الأرثوذكسية أن الخليقة المادية كلها سوف تتمجد مع قيامة الانسان وتمجيد جسده ، لأنه كما فسدت المادة وتلوثت بفساد الانسان كذلك الخليقة هكذا ستتمجد عندما يتمجد هو . وفي هذا يقول بولس الرسول « لأننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معا إلى الآن وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا » (رو ٨ : ١٩ — ٢٢) .

في اليوم الأخير لن يخطف الانسان من بين الخليقة بل إن الخليقة كلها ستخلص وستتمجد معه ، الكون والخليقة التي فسدت بسقوط آدم تعود مرة ثانية إلى وضعها الطبيعي في اتفاق وانسجام لتصير أرضا

جديدة « ثم رأيت سماء جديدة ، وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا » (رؤ ٢١ : ١) .

من هذا المنطلق لا ترى الكنيسة غرابة فى تقديس المذبح والأيقونات وتكريسها فى بيت الله ، وتسمح للمؤمنين بتقبيلها ، وطلب شفاعة القديسين أصحاب الأيقونات المكرسة وإنارة الشموع أمامهم .

هناك فارق كبير بين نظرة الأرثوذكسى الشرقى ونظرة المسيحى الغربى .. فعقلية الغربى التحليلية قد رسمت خطا فاصلا وحداً واضحا بين الشىء وإسمه ، بين الشخص وصورته ، بين الروح والجسد .. أما فى الشرق فنحن أكثر يقظة لهذا التداخل فإسم الشخص جزء من شخصيته ، والصورة وثيقة الصلة بالإنسان ذاته . ويعتقد الأرثوذكسى أن التجسد كشف عن وجود وحــدة عضوية بين ما هو إلهى وما هو مخلوق ، وأثبت أن الأشياء المادية ليست أقل قيمة من غيرها فى تنفيذ العمل الإلهى ..

والشرقى يستطيع أن يتكلم مع السمائيين فى صورهم بل ويعتقد أن المقابلة الروحية بين المسيح وقديسيه وبين أعضاء الكنيسة تزداد عمقاً وقوة إذا تركزت فى الأيقونة ، فالخشب والرسم والمعدن يتشكل بالفن والصلاة إلى نقطة تقابل بين الله والإنسان لا تقل عن صلاة الشفتين ، ومن هنا نستطيع أن نفهم الدور العظيم الذى تلعبه الطقوس وممارسات الكنيسة فى حياة الأرثوذكسى ، وبإختصار فإنه ليس هناك

ثنائية المادة والروح فى روحانية وفكر الأرثوذكسى . . إنه المسيحى من وجهة نظر الأرثوذكسية يخلص بالعالم ولا يخلص من العالم .

ارتباط الزمن بالأبدية :

فى الفكر الأرثوذكسى والروحانية الأرثوذكسية ليس هناك تضاد بين الزمن والأبدية بل هناك تلاحم وإتصال . ففى المسيح يسوع حدث هذا الإرتباط الصميمى طالما تؤمن بوحدة اللاهوت والناسوت ، لأجل هذا أصبح الزمان داخلا فى أعتاب الأبدية وأصبحت الأبدية هابطة على تاريخنا زاحفة عليه ساحية إياه فى تخومها اللانهائية ، وإذا ما اتخذنا صلاة القداس مثالا لذلك فإننا فى صلاة الليتورجيا لانفرق بين السماء والأرض لأنهما اتحدا سويا فى القداس ، وبناء على ذلك لا نفرق بين الزمن والأبدية لأن لحظات الصلاة هى مجال لاستجلاء الأبدية وإستحضارها على الأرض . ونفس هذا الاختبار يحسه المؤمن فى صلاة المخدع عندما يصلى بالروح والذهن ، فإن الأبدية تنفتح لتحمل دقات الساعة مع دقات وأنات القلب سويا وتحسب هذا الجهاد وتكتبه فى سفر تذكرة وتعطيه خلوداً أبدياً .

وإذا كان الرب يسوع قد قال بفمه الطاهر « ها ملكوت الله

داخلكم » تعنى هذا أن الأبدية حاضرة هنا الآن . . وإن لم نشق أنها حاضرة معنا الآن فإن ندخلها فى الاتى . كل ماهو أخروى سيحدث فعلا فى المستقبل فى المجىء الثانى فى الأبدية ولكنه يبدأ الان . الان وقت مقبول . . الان ساعة خلاص . . الان ساعة انفتاح الأبدية ودخولها قلب الإنسان وجعله مملكة (إليه نأتى وعنده نصنع منزلا) وعندما يستقر الرب فى القلب ألا تكون الأبدية كلها حاصلة فعلا !

لأجل هذا تتميز الروحانية الأرثوذكسية باختبار عربون الملكوت من هنا ، وتسعى نحو الامتلاء من الفرح الداخلى كعربون للفرح السمائى عند ما يأتى آوان الزفاف ويأخذ العريس العذارى المستعدات معه . وهذا الاختبار الصوفى هو وحده الذى يقضى على العزلة فى حياة الإنسان . وهو وحدة الذى يحل المتناقضات ، وهو وحده الذى يلغى القلق والسأم والملل والخوف من الموت هذه التى هى نتاج سلطان الزمان على الإنسان .

وفى هذا يقول الفيلسوف برديائف : « يوجد طريقان ممكنان لمعاناة الزمان ، أحدهما أن نجرب الحاضر دون تفكير فى المستقبل والأبدية ، والثانى أن نجعل من الحاضر والأبدية شيئا واحداً . الموقف الأول يقوم على النسيان . . أما الموقف الثانى فيتغلب على شر الزمان ويفضى بنا إلى الأبدية ، وفى هذه الحالة لاتكون اللحظة لحظة نسيان وإنما تكون على العكس لحظة امتلاء خاص تمثل حياة الانسان

تنيرها الذاكرة لاجزءا من حياته المنعزلة وهكذا تستطيع الروح أن تتغلب على الخوف والفزع من المستقبل » .

وهذا ماتعمله الخبرة الروحية فى الأرثوذكسية ..

ختام القول أنه ليس هناك ضمان للمسيحيين على أنهم يسيرون فى الطريق الصحيح أفضل من حفظ وحدانيتهم وممارسة عضويتهم الحية فى الكنيسة ، والتعمق فى شركتهم مع الله ورفض كل ثنائية يطرحها العقل والفلسفة والمنطق ، والتجاوب مع كل وحدة يحدثها الروح فى الحياة الداخلية . .

محتويات الكتاب

تقديم

المقالة الأولى :

أولا : اللاهوت والحياة الروحية
ثانياً : الليتورجيا والحياة الروحية
ثالثاً : الصلاة والحياة الروحية
رابعا : ملامح الروحانية الشرقية

المقالة الثانية :

الروحانية الأرثوذكسية
النعمة والإرادة .
إبراز عمل الثالوث الأقدس
روحانية شركة وليست فردية
وحدة السمائيين مع الأرضيين
تقديس المادة فى الروح
ارتباط الزمن بالأبدية

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٤٨٣ / ١٩٧٢

يطـــلب من

المكتبة المرقسية ــ حلوى ص•ب ١٣

وجميع المكتبات المسيحية